Institute for Palestine Studies
The Library
Discarded

فتح

في خطاب «توازن الردع» المقاوم
عالم يتغير ومنطقة حبلى، ومعطيات استراتيجية جديدة

المجلة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) الانتفاضة

العدد 606 آذار 2010

جامعة بيرزيت
المكتبة
19 -04- 2012
BIRZEIT UNIVERSITY

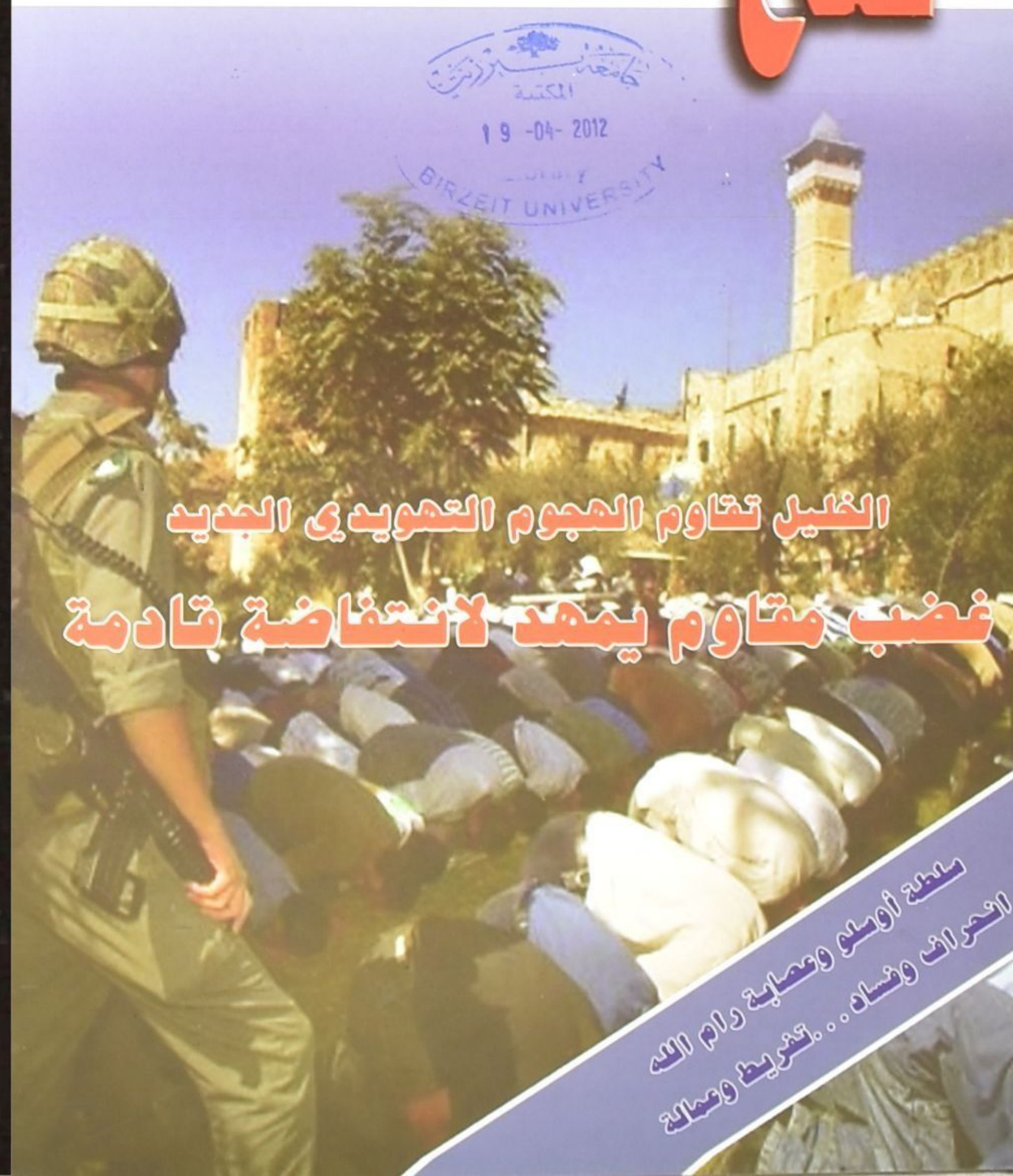

الخليل تقاوم الهجوم التهويدي الجديد

غضب مقاوم يمهد لانتفاضة قادمة

سلطة أوسلو وعصابة رام الله
انحراف وفساد.. تفريط وعمالة

Digitized by Birzeit University Library

فتح

المجلة المركزية
لحركة التحرير الوطني الفلسطيني
(فتح)

www.fatehmagazine.com
E-Mail : aljlil@tarassul.sy
fmint65@yahoo.com
fmint65@hotmail.com

رئيس التحرير: مأمون كيوان
مدير التحرير : علي محمد
المسؤول الإداري : محمد الجرادات
الإخراج الفني : صلاح الحسني

مكتب
دمشق - مهاجرين - روضة - جادة التوخي
هاتف (3313797) (3326134)
ص.ب:5621

الاشتراكات السنوية :
المؤسسات و الدوائر الرسمية : (3000) ل.س
الأفراد : (1000) ل.س أو ما يعادلها .

ثمن النسخة :
سورية : 30 ل.س . لبنان : 1500 ل.ل . الأردن : 500 فلس . الإمارات العربية المتحدة 10 دراهم . الجمهورية اليمنية : 25 ريالاً . الكويت : دينار واحد . قطر : 5 ريالات . جمهورية مصر العربية : جنيه واحد . الجماهيرية الليبية : دينار واحد . السودان : 5 جنيهات . تونس : نصف دينار . الجزائر : 10 دنانير . المغرب : 10 دراهم . البلدان الأجنبية : 5 دولارات .

الخبر في صورة..

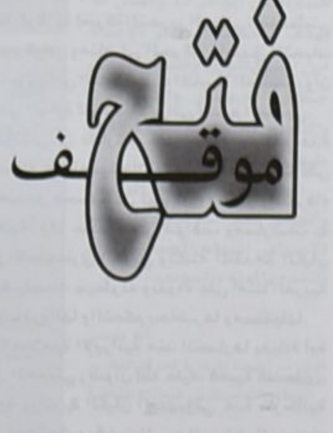

فتح موقف

سلطة تنشغل بفسادها، وعدو يواصل التهويد...

وشعب مناضل، وإرهاصات انتفاضة ثالثة

تنشغل عصابة سلطة أوسلو في رام الله المحتلة، بملفات فسادها المستشري الذي غدا يزكم الأنوف، والتي كانت ولا زالت هي وكل ملفاتها التفريطية والانهزامية المتساوقة مع الإملاءات التصفوية المعادية للقضية الفلسطينية، وغدت مصالحها مرتبطة بمصالح أعداء شعبنا و أصبح وجودها بحد ذاته يشكل إهانة موجعة للشعب الفلسطيني، وأذى فادحاً لحق بمسيرة نضاله وصورة تضحياته، ومصدراً رئيساً لتشرذم الساحة الوطنية وفرقتها... تنشغل بفسادها ومصالحها، بينما يوالي العدو الصهيوني الغاصب للوطن سياسة التهويد الواسعة لما تبقى من الوطن الفلسطيني المغتصب، ويواصل بمساعدة مخجلة من عرب أميركا وأوسلوييهم، والنظام المصري تحديداً، محاولاته لخنق الإرادة الفلسطينية الصامدة المقاومة في غزة المحاصرة.

وهو إذ قطع شوطاً واسعاً في تهويد مدينة القدس المحتلة، عاصمة فلسطين، وزهرة المدائن العربية، وحاضنة القبلة الأولى للمسلمين، والبقعة الأقدس للمسيحيين، وصولاً إلى نبش ما تحت الحرم القدسي الشريف الذي ينهش التهويد أطرافه ويبتلعها على مدار الساعة ويعد العدة لإقامة الهيكل الثالث المزعوم مكانه، يواصل تشريد المقدسيين إما بهدم بيوتهم، أو إحلال المستوطنين محلهم فيها. واليوم ها هو يخطو خطوة جديدة بسرقة مقدسات شعبنا وأمتنا في أكناف بيت المقدس، إذ أعلن مسجد الصحابي الجليل بلال بن رباح في بيت لحم، والحرم الإبراهيمي في مدينة خليل الرحمن، موقعين تراثيين يهوديين مزعومين، الأمر الذي يواجهه أهلنا الصابرون الصامدون المرابطون المستفرد بهم هناك وحدهم وبصدورهم العارية، حيث عزّ المتضامن والنصير.

إن ما يجري الآن هناك، ويسيل الدم الفلسطيني في مواجهته، إذ يبشر بانتفاضة شعبية ثالثة ضد المحتلين وسلطة دايتون العميلة على السواء، سوف يشكل صفحة نضالية جديدة تذود عن فلسطين التي لا تختصر في مقدساتها فحسب إذ هي بالنسبة لشعبنا وأمتنا مقدسة من نهرها إلى بحرها، وهو في الوقت نفسه إدانة تصم هذا الصمت العربي والإسلامي والإنساني، والذي أصبح أكثر من التخاذل، وإن استمر فلا يمكن وضعه إلا في خانة التآمر والتواطؤ... وفي الوقت نفسه ما يجري في الخليل، يهيب بكل الوطنيين من حاملي راية الصمود والمقاومة من فصائل وفعاليات وشخصيات وطنية في سائر الساحة الفلسطينية وطناً وشتاتاً، إلى التنادي لكلمة سواء، تسفر عن تشكيل مرجعية وطنية تستوجبها خطورة الراهن، تحمي القضية من التصفية وتتمسك بالثوابت الوطنية والقومية، وتواصل النضال وتقوده، وتأتي كخطوة باتجاه استعادة م.ت.ف إلى خطها الوطني على قاعدة ميثاقها الأصيل، وليس بديلاً عنها.

إن في مثل هذا فحسب بعض ما تستدعيه المسؤولية تجاه ما يجري في الوطن المحتل، حيث لا شرعية لعصابة أوسلو، وفيه أقل ما يجب فعله في مواجهة عبث أولئك العملاء فاقدي الشرعية وهذا العدو الذي لا يرد عليه إلا بلغة مقاومته.

Digitized by Birzeit University Library

الأخ أبو موسى يهنّئ مرشد الثورة السيد علي خامنائي والرئيس محمود أحمدي نجاد بذكرى انتصار الثورة الإسلامية في إيران

وجه الأخ أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح – الانتفاضة، برقيتي تهنئة لمرشد الثورة الإسلامية الإيرانية علي الخامنائي ولرئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدكتور محمود احمدي نجاد بمناسبة ذكرى انتصار الثورة، فيما يلي نصهما:

سماحة مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية الأخ القائد المجاهد آية الله العظمى الإمام الخامنائي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لي أن أبعث إلى سماحتكم باسمي شخصياً ونيابةً عن إخواني في اللجنة المركزية للحركة وعموم كوادر الحركة ومناضليها، بأطيب التحيات وأصدق التهاني القلبية بحلول الذكرى الحادية والثلاثين لانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، وأن نعرب عن تقديرنا العالي لمواقف سماحتكم من قضية فلسطين وتأييدكم الدائم لمقاومة ونضال وجهاد شعب فلسطين، وهي مواقف مشهودة منذ اليوم الأول لانتصار الثورة الإسلامية بقيادة الراحل الخالد آية الله العظمى الإمام الخميني رضوان الله عليه.

إن لهذه المواقف المبدئية الثابتة، وكل عوامل الدعم والمساندة والتأييد من قبل الجمهورية الإسلامية لنضال وكفاح الشعب الفلسطيني أثرها الكبير في تعزيز معنويات الشعب الفلسطيني المقاوم، وخير رسالة أن الشعب الفلسطيني لن يكون وحده في مواجهة هذه الغزوة الاستعمارية الاستيطانية، وهذا الاحتلال البغيض، بعدما تنصل الكثيرون من مسؤولياتهم تجاه قضية فلسطين، ومدّوا أيديهم لمصالحة العدو الصهيوني الغاصب وتطبيع العلاقات معه.

إننا إذ نحييكم اليوم يا سماحة الأخ القائد على هذه المواقف التي نعتز بها ونقدرها، نهنئكم بالإنجازات العلمية التي تتحقق في إيران سواءً على صعيد الطاقة النووية واستخدامها في مجال العلوم والأغراض السلمية أو في إطلاق المركبات الفضائية، وغير ذلك من مجالات التقدم المتعددة، والتي تعد ثمرة من ثمار ثبات وقوة الثورة الإسلامية والتفاف وتأييد الجماهير الإيرانية المسلمة حولها.

إن تقدم ومنعة الجمهورية الإسلامية ومواقفها المبدئية الثابتة في نصرة قضايا العرب والمسلمين والمستضعفين بالعالم يشكل خطراً على المشروع الاستعماري الغربي وكيانه المتقدمة الكيان الصهيوني الغاصب، ومن يدور في فلكهم، الأمر الذي يفسر هذه الحملة المعادية والمتصاعدة في النيل من مواقف الجمهورية الإسلامية، والسعي إلى فرض الحصار عليها وممارسة الضغوط لثنيها عن مواقفها، والتهديدات باستخدام القوة وقرع طبول الحرب والعدوان عليها.

إننا على ثقة أكيدة أن كل هذه التهديدات لن يكتب لها النجاح، وسيرتد معسكر الأعداء هذا على أعقابه خاسراً وفاشلاً، ولن يستطيع تحقيق أهدافه لا في زعزعة الأمن والاستقرار داخل إيران، ولا في ثنيها عن ممارسة حقها في التقدم والتطور وامتلاك عوامل القوة والمنعة.

سماحة الأخ القائد

نبارك لكم هذه المناسبة الكبيرة، ذكرى انتصار الثورة الإسلامية، ونتمنى لسماحتكم دوام الصحة والتوفيق والتقدم والنجاح في قيادة مسيرة الثورة الإسلامية الإيرانية، ونعرب عن تمنياتنا للشعب الإيراني المسلم الصديق بدوام العزة والسؤدد.

أبو موسى
أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير
الوطني الفلسطيني فتح/الانتفاضة

فخامة السيد الرئيس الدكتور محمود أحمدي نجاد حفظه الله

رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرني أن أغتنم مناسبة حلول الذكرى الحادية والثلاثين لانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، لأبعث إلى فخامتكم بالأصالة عن نفسي ونيابةً عن إخواني في اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني / فتح – الانتفاضة وعموم كوادر ومناضلي الحركة، بأصدق التحيات الأخوية وأطيب التبريكات والتهاني القلبية بهذه المناسبة العظيمة، وأن نتوجه من خلالكم بالتهاني الحارة للشعب الإيراني المسلم الصديق.

ويسعدنا يا فخامة الرئيس أن نشارككم أفراحكم وإحياءكم هذه المناسبة، نظراً لما مثلته وتمثله من أهمية فائقة، لا تقتصر آثارها على الشعب الإيراني المسلم الصديق فحسب، بل تهم كل الأحرار والشرفاء في أمتنا العربية الإسلامية، ولما جسدته من مواقف وممارسات في إطار الصراع مع المشروع الاستعماري الغربي وكيانه المتقدمة الكيان الصهيوني الغاصب، الهادف لبسط سيطرته ونفوذه على أمتنا العربية الإسلامية وإخضاعها ونهب ثرواتها والتحكم بحاضرها ومستقبلها.

لقد احتضنت الثورة الإسلامية الإيرانية منذ انتصارها بقيادة آية الله العظمى الإمام الراحل الخميني رضوان الله عليه، قضية فلسطين، واعتبرتها قضيتها المركزية ورأت في الكيان الصهيوني غدة سرطانية تشكل خطراً على الأمة برمتها، ووقفت إلى جانب نضال وجهاد ومقاومة الشعب الفلسطيني، وأكدت على رفض كل الحلول التصفوية،

جامعة بيرزيت
المكتبة
19 -04- 2012
BIRZEIT UNIVERSITY Library

وعبرت على الدوام عن تمسكها بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ورفض أي تفريط بها.

لقد كان لهذه المواقف يا فخامة الرئيس أعظم الأثر في قلوب ونفوس أبناء الشعب الفلسطيني المقاوم، وعموم قواه الوطنية المناضلة والمجاهدة، وسوف تظل موضع التقدير والتثمين، وهي مواقف لن ينتقص منها أو ينال منها الحملات المغرضة التي تهدف الإساءة إلى الجمهورية الإسلامية ومواقفها أو التي تعمل على بث الفرقة والفتنة في صفوف أمتنا.

فخامة الرئيس

في هذه المناسبة نهنئكم والشعب الإيراني المسلم الصديق بالإنجازات العلمية الهائلة، والتقدم الذي تحفل به إيران، وهي إنجازات تشكل قوةً ومنعةً لإيران ولكل مواقع الصمود والمقاومة في أمتنا العربية والإسلامية، مؤكدين على ثقتنا أن هذه الإنجازات ثمرةً من ثمار قوة وثبات وصمود النظام والقيادة، وما تتمتع به التفاف وتأييد شعبي واسع تتكسر على صخرة صموده كل المؤامرات، وتفشل ما يهدف لتحقيقه معسكر الأعداء من إمبرياليين وصهاينة، من خلال الحصار والضغوطات والتلويح باستخدام القوة وقرع طبول الحرب والعدوان.

نحييكم يا فخامة الرئيس وأتمنى لكم التوفيق، وللشعب الإيراني المسلم الصديق دوام التقدم والعزة والسؤدد.

أبو موسى
أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير
الوطني الفلسطيني فتح/الانتفاضة

رداً على برقيتي تعزية بمصاب حادث الطائرة الإثيوبية فتح تتلقى برقيتي شكر جوابيتين من الرئيس اللبناني ميشيل سليمان ورئيس الوزراء سعد الحريري

تلقى الأخ أبو موسى أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح برقيتي شكر جوابيتين على برقيتي تعزية أرسلهما باسم الحركة إلى كل من رئيس الجمهورية اللبنانية الشقيقة العماد ميشال سليمان، ورئيس الوزراء اللبناني سعد الدين الحريري، إثر حادث الطائرة الإثيوبية المؤلم، نقل فيها تعازي قيادة الحركة وكوادرها ومناضليها إلى الشعب اللبناني الشقيق وأسر الضحايا، تغمدهم الله برحمته، وجاء نص برقيتي الشكر على الوجه التالي:

حضرة السيد أبو موسى المحترم

أمين سر اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني/فتح الانتفاضة

تلقّى فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد ميشال سليمان بامتنان برقية التعزية التي وجهتموها إليه بضحايا طائرة الخطوط الجوية الإثيوبية التي سقطت قرب الشاطئ اللبناني.

وإذ نشكركم على مواساتكم ومشاعركم الصادقة، نسأل الله تعالى أن يحفظكم برعايته.

ويبعد عنكم وعن عائلتكم كل مكروه.

السفير مارون حيمري

بعبدا في ٨ شباط ٢٠١٠

حضرة السيد أبو موسى المحترم

أمين سر اللجنة المركزية لحركة فتح

تلقيت تعازيكم الصادقة بضحايا حادثة سقوط الطائرة الإثيوبية. وإنني إذ أشكر لكم مشاركتكم في مصابنا الجلل وتعاطفكم مع الشعب اللبناني وعائلات الضحايا، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظكم ويرعاكم ويجنبكم كل مكروه، وأن يتغمد الضحايا بواسع رحمته ويسكنهم جنات النعيم.

سعد الحريري

بيروت في ١٣ شباط ٢٠١٠

وفد حركي برئاسة الأخ أبو فاخر يزور السفارة السودانية في دمشق مهنئاً باليوم الوطني للسودان

بمناسبة حلول اليوم الوطني للسودان الشقيق، قام وفد حركي برئاسة الأخ أبو فاخر /سكرتير اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح وعضوية الأخوة أبو ماجد هدية، أبو عمر المصري، أبو السعيد، أبو فراس، أعضاء المجلس الثوري للحركة، بزيارة لسفارة جمهورية السودان الشقيق في دمشق، حيث التقى السيد السفير عبد الرحمن ضرار مقدماً باسم قيادة الحركة التهنئة بهذا اليوم الوطني المجيد، وتحياتها للشعب السوداني الشقيق الذي لم يتوان أهله يوماً في حملهم لشجون وشؤون وهموم قضية العرب المركزية في فلسطين، ودعم نضال الشعب الفلسطيني والوقوف إلى جانب خيار المقاومة ونهج التحرير.

Digitized by Birzeit University Library

في خطاب «توازن الردع» المقاوم...
عالم يتغير، ومنطقة حبلى، ومعطيات استراتيجية جديدة!

عبد اللطيف مهنا

كل يوم يمر يأتي معه بارهاصات تؤكد بأن المنطقة سوف تشهد بروزاً لمعطيات استراتيجية جديدة ومختلفة. معطيات سوف يكون من شأنها أن تعجل في زوال السائد المعهود وتبشر بمستجد تحولات لها ما بعدها. تحولات لا يمكن عزلها عن أخرى كونية أشمل بدأت تلوح وتلمس لمس اليد. هذا العالم يتغير والمنطقة حبلى بما يمور تحت سطحها الراكد الآسن الخانق. خلال الأسابيع المنصرمة كنا إزاء مشهد من التوتر الصيني الأميركي. صفقة أسلحة تايوان الأميركية ورد فعل بكين عليها وعلى استقبال واشنطن للدلاي لاما، الرد القاسي وغير المألوف صينياً، أو ذاك الغاضب الحازم المتوعد. ولم تكن إلا بصدد بعض مما يقع لا محالة في سياق تحول قوى كوني قادم ولا راد له، وفيه بعض مما هو المتوقع حكماً وقوعه بين مارد صاعد حاذق وعملاق هابط هالح مرتبك، أي أن عالمنا القلق قد بدأ يشهد بعضاً من سمات تأكل أحادية القطبية الأميركية وبداية انحدار الإمبراطورية الغالصة في رمال استباقياتها المتحركة، والذي يشير بالمقابل على تحول التنين الأصفر الفتي إلى قوة اقتصادية هي حتى الآن الثانية كونياً وتتجه إلى الأمام، الأمر الذي لزاماً سوف يدفع صاحبها لأن يلتمس بالضرورة دوراً كونياً قيادياً ينسجم مع هذه القوة وبوازيها، وأن يسعى بالتالي لأن يتبوأ مكانة لائقة بمنزلتها المحققة تُحجز له بجدارة بين المتربعين في قمرة إدارة هذا العالم، هذه التي لم تعد في المدى المنظور حكراً على الأميركي المتسلط عليها والمتغطرس المنفرد بها.

وقبلها بقليل، بدا للعالم والمنطقة أن "إسرائيل" قد بدأت تدق طبول الحرب، والمفارقة التي غفل عنها الكثيرون الذين بدأوا في تصور سيناريوهاتها، هي أن ذاك الزمان الذي كانت تنعم فيه بالقدرة على شن حرب سريعة ماحقة موكدة النتائج ومضمونة الانتصار، أو تتلاءم مع تفوقها العسكري واختلال موازينه الخرافية لصالحها، بالإضافة إلى مضمون تدثرها الدائم بغطاء دولي يعصمها من المساءلة ويرفعها فوق كل القوانين والشرائع والضوابط الإنسانية، قد ولى... وولت من ثَمَّ معه وإلى غير رجعة قدرتها على ابتلاع المزيد من الأراضي العربية، أو احتلالها مع البقاء فيها. وحيث وصلت قوتها وبالتالي قدرتها على التوسع إلى أقصى حدودها، فكان من السهل أن نخلص إلى أنها لزاماً سوف تعد إلى العشرة قبل مجرد التفكير الجدي في الإقدام على شن حرب جديدة، لا سيما وهي تعيش كوابيس تجربتي حربيها في ٢٠٠٦ على لبنان و٢٠٠٨ على غزة... وكان من المنطقي حينها أن هذه الثكنة العدوانية المتقدمة للغرب الاستعماري لم ولن تشعل حرباً من حروبها إلا بعد حصولها على ضوء أخضر أميركي، وأن أميركا الراهن لا تحتمل حرباً مضافةً إلى حروبها الخاسرة في المنطقة... أي أن المرجح، والحالة هذه، إنما إزاء بعض من عربدة موظفة في حرب نفسية درجوا على شن مثيلاتها، من المتضح أن لها وظيفتها راهناً في سياق جاري الضغوط الغربية على قوى المقاومة ودول الممانعة في المنطقة، وجاري ما يتعلق بمعالجة مسألة البرنامج النووي الإيراني، خصوصاً بعد أن تخلت الإدارة الأوبامية عن ما دعتها سياسة "الانخراط" حيال إيران وقفلت عائدةً إلى سابق سياسة "الاحتواء" التي درجت عليها سالفاتها الأميركيات. ودلل على ذلك فيما بعد خفوت دبيب طبول الحرب "الإسرائيلية"، وتراجع داقيها عن عنتريات تصريحاتهم المهددة فور سماعهم رداً سورياً جاءهم حازماً ومباشراً قال لهم: إنكم إن أشعلتم فتيل حرب فلا يمكنكم حصر ساحاتها ولن تنجو منها تجمعاتكم مدناً ومستعمرات.

في هذه الأيام، لا مناص لنا من الإشارة إلى ما تقدم، حيث نحن نجد أنفسنا لا زلنا في السياق ذاته ونحن نتعرض إلى الراهن الجاري، أو في تتبعنا لتلكم الإرهاصات التي تحمل لنا بشائر تلكم المتغيرات المشار إليها. هنا سنتعرض فحسب إلى اثنتين: الأولى آخر الصولات الأطلسية في بلاد الأفغان أو ماعرف بعملية "مشترك"، أو الحملة العسكرية الأطلسية وملحقها الأفغاني واسعة النطاق على المقاومة الأفغانية، أو معركة مرجة في إقليم هلمند. والثانية، هو ما نعت بحق بخطاب "توازن الردع"، الذي رسم فيه الأمين العام لحزب الله، قائد المقاومة اللبنانية، السيد حسن نصر الله، خطوطاً حمراً جديدة في الصراع، سوف يتوقف "الإسرائيليون" أمامها ملياً، فهم الذين يأخذون عادةً ما يقوله نصر الله على أكثر من محمل الجد. بدا مثل هذا واضحاً، من هذا الصمت الثقيل الذي ران عليهم على غير عادة، والتزامهم كبت ردود الأفعال الرسمية من جانبهم حتى الآن، بل المسارعة إلى فرض التعتيم الإعلامي التام على الخطاب وإغفال ما جاء فيه، وطلب الرقابة العسكرية، صاحبة القول الفصل عادة، من مراسليهم ومحلليهم "ضبط النفس"، متعللة بأن جزءاً أساسياً من هذا الخطاب هو موجه

إلى الداخل "الإسرائيلي"، ومن ثَمَّ ففيه ما يثير الخشية من زيادة حالة "الإحباط والإرباك" في هذا الداخل القلق!

قال لهم: من الآن فصاعداً، سندمر أبنية في تل أبيب مقابل بناء واحد تدمرونه في ضاحية بيروت الجنوبية. وسنضرب مطار بن غوريون إن ضربتم مطار الحريري... واستطرد: ميناء مقابل ميناء، ومصفاة مقابل مصفاة، ومحطة كهرباء مقابل محطة كهرباء، ومصنعاً مقابل مصنع... باختصار، بناكم التحتية مقابل بنانا... هل يمكن عزل هذه الثانية عن سابقتها الأولى... بل سابقاتها؟!

لقد سبق خطاب "توازن الردع" هذا، كما أسلفنا، الرد السوري الحاسم على طبول الحرب "الإسرائيلية" التي لم تلبث بعيده أن سكتت، وتصريح الرئيس الإيراني، الذي توقع فيه أن "الإسرائيليين" يعدون العدة لحرب جديدة هذا الربيع أو الصيف الذي يليه، حيث توعدهم بأن المقاومات ومعها الدول الممانعة سوف "تسحقهم"... بعد ساعات لا أكثر، صرح نتنياهو رئيس الوزراء، إننا "لا نخطط لأي حرب"... وتثالث من ثم التصريحات المتراجعة... قال باراك، وزير الحرب، إنه يرى أن "لا حاجة لحرب أخرى" مع سوريا، وتلاه الداهية الأشر بيريز مهدئاً، أنه "لا يوجد أي نزاع بين إسرائيل ولبنان"! وكان الجنرال الأميركي مولين قد صرح بعد زيارة لتل أبيب بأن إسرائيل تعهدت بأن لا تهاجم إيران "وحدها"... وكانت جولة أميركية عمادها وزيرة الخارجية وبعض الجنرالات طاف أصحابها في المنطقة يحرضون ويستحثون فيها أصدقاءهم للاحتشاد وراء سياساتهم الاحتوائية للمقاومين والممانعين على السواء... إذاً، لا يمكن فصل هذه عن تلك... ولدينا معطيات إستراتيجية جديدة تعلن عن نفسها، ولدينا ما يخبرنا بأنه ليس من حرب جديدة قد تنشب لن تكون شاملة، بمعنى أنه لم يعد سالف الاستفراد بجبهة واحدة متوفراً "للإسرائيليين"، والشرارة تطلق نيراناً إن اندلعت فلن يقوى أحد على حصر ألسنة لهيبها. ومن الجلي اليوم أن المقاومات والممانعات على السواء قد أفادت من دروس حربي ٢٠٠٦، ٢٠٠٨ أيما إفادة. كما أن "الإسرائيليين" والأميركيين أيضاً، قد أخذوا ثمين العبر من دروسها... لكنما نعود فنقول، إنما هم نتاج غزو وتكوين عدوان ولا يعيشون بلا حرب، وحروبهم علينا مستمرة استمرار وجودهم في بلادنا، وإن صمتت مدافعهم إلى حين، فلديهم بدائلها الموازية... مؤامرات لا تنقطع، واغتيالات لا تتوقف، والأخيرة لن يكون آخرها ماجرى في دبي، وحروب نفسية تدار على مدار الساعة وإشارة فتن لا تخمد... بالمناسبة، لم يكن رد الفعل الأوروبي الرسمي، لا سيما البريطاني، على إقدام "الإسرائيليين" على امتهان حرماتهم وسياداتهم باستخدام جوازات سفرهم لارتكاب جريمة اغتيال الشهيد القائد المبحوح بهذه الميوعة والارتباك إلا لاحتمال تواطئهم في تسهيل ارتكابها. وإلا ما سر لا مبالاة "الإسرائيليين" وعدم خشيتهم البادية من تصاعد ردود فعلهم وتأكيدهم بأنها لن تكون أكثر كثيراً مما هي عليه الآن؟!

...والآن، ماذا عن أخبار موقعة مرجة الأفغانية التي دخلت أسبوعها الثالث وتقترب من الرابع ويقولون الآن إنها قد تحتاج شهراً، وزادوا فقالوا عاماً؟!

يكفي أن نشير إلى أن الرئيس باراك أوباما قد عقد مجلساً حربياً قيل إنه لدراسة وتقويم آثار معركة مرجة، وحتى الآن لم يقل لنا أحد بعد ما الذي حققته حملتها العرمرمية الصاخبة؟! أو ما الذي أنجزوه سوى أن طالبان الآن لا زالت تذرع الجبال متنقلة بين ولاية وأخرى وتنفذ غاراتها وفق تكتيكاتها، وهم جل ما حققوه أنهم يجولون ويصولون بين أطلال بعض القرى المهدمة التي فتكوا بأطفالها ونسائها؟!

إن كل ما سمعناه حتى الآن، هو اعتراف قائد القوات البريطانية بـ"قدر من المقاومة الشرسة...ولدينا في وسائل الإعلام الدولية أكداس من التحليلات وتوقعات الخبراء، بل ما يجزمون به، بأن خسارة أميركا وأطلسييها للحرب في أفغانستان، التي تسيطر طالبان على عشرين محافظة من محافظاتها الأربع والثلاثين، قد غدت من تحصيل الحاصل... أما في العراق، فتصوروا أنهم إذا ما غادروه، وسيغادروه، ما الذي سوف يتبقى لهم بين أطلاله من كل هذا الذي جلبوا أدواته معهم ورتبوه لينوب عنهم في حماية مصالحهم خلال الثمانية أعوام الدموية البشعة التي تلت الغزو؟... لم يعد السؤال هل سيتركون أفغانستان لأهلها، بل كيف سيغادرونها ومتى؟ وهل هذا الخروج سوف يختلف عن مثيله الذي كان في الفيتنام أو الصومال... أو بيروت؟ هل هو المختلف عن خروج كل الغزاة الذين مروا ذات يوم من هناك؟!

قلنا ذات مرة إن استراتيجية أوباما الأفغانية التي أعلنها إنما هي لا تعدو استراتيجية هروب، واليوم نقول، لقد بدأ فعلاً في تطبيقها... كيف؟!

في الفيتنام سبق أن كانت لهم ذات الإستراتيجية والتي نفذت حينها بذات السيناريو... طلب المزيد من القوات... والمزيد... حتى هربوا!

إنها التحولات الكونية، والمعطيات الإستراتيجية الجديدة التي تلوح قادمة في منطقتنا، هذه المنطقة الحبلى بما يمور تحت بادي سطحها المتكلس... التحولات المعجلة في زوال سائدها، هذا الذي بلغ انحطاطاً مريعاً لم يشهده تاريخها المتأخر على الأقل... تلك التحولات التي تبشر جازمةً بجديد... جديد مهره كلفته أقل بما لا يقاس مما تدفعه لقاء واقعها... إنه ليس أكثر من رسم خطوطنا الحمر، والانطلاق منها في مسير انبعاث إرادة صمود ومواجهة ستؤديان حتماً إلى انتصار لا بد آت!

Digitized by Birzeit University Library

الخليل تقاوم الهجوم التهويدي الجديد
غضب مقاوم يمهد لانتفاضة قادمة

مأمون كيوان

أصدرت الحكومة الصهيونية مؤخرا قرارا تهويديا يقضي بضم الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال بن رباح إلى قائمة المواقع التراثية الصهيونية، وذلك على خلفية زعم مفاده أن ما يسمى قبر راحيل (مسجد بلال بن رباح) والحرم الإبراهيمي هما المكانان اللذان دفن فيهما، ومنذ أكثر من ٣٥٠٠ سنة، "أجدادهم" : إبراهيم واسحق ويعقوب وجداتهم" : سارة ورفقه وليا وراحيل، وهما يستحقان بالتأكيد المحافظة عليهما وتجديدهما. وبعث مستوطنون في الضفة الغربية، برسالة إلى نتنياهو لحضه على إدراج قبرين لشخصيات توراتية في عداد المواقع الأثرية الصهيونية الإسرائيلية، موضحة أن هذين هما (القبران): لعتنائيل بن كناز (أحد قضاة التوراة)، وراعوت (الأرملة الموابية التي تزوجها بوعز، الجد الأكبر للنبي داؤد) حسب الزعم الصهيوني.

ويأتي القرار الصهيوني، في أحد جوانبه ليطمس تأكيد علماء آثار صهاينة أنهم لم يعثروا على أي آثار يهودية في مدينة القدس المحتلة، من خلال عمليات الحفر المنتشرة في جنبات المدينة لإثبات يهوديتها، برغم سنوات الحفر، بحثًا عن أي دليل يُشير إلى أي شيء يهودي في المدينة.

وفي غضون السنوات الأربع الماضية سيطرت على حركة الحفريات في المدينة منظمات يهودية يمينية متطرفة، من بينها جمعية «إيلعاد»، التي تعمل أيضًا في مجال الاستيطان، ومؤسسة «عير ديفيد»، وتركز هذه المؤسسات أنشطتها في حي سلوان العربي، والمدرج في الكتيبات السياحية «الإسرائيلية» باسم «مدينة داود».

تهويد واستيطان الخليل

ويشكل القرار الصهيوني خطوة تصعيدية في سياق عملية تهويد واستيطان مدينة الخليل ومحيطها الذي يشكل ما مساحته ١٠٦٥ كيلومترا مربعا من الأرض الفلسطينية. فقد اتبعت الحكومات الصهيونية المتعاقبة سياسة تهويد ممنهجة لتهويد هذه المدينة المقدسة، وخاصة البلدة القديمة فيها.

وتعيش مدينة الخليل وضعا مأساويا بوجود أشرس المستوطنين العنصريين الأكثر تطرفا وتعصبا سياسيا ودينيا والأكثر حقدا وكرها للعرب، حيث هجر منها أكثر من٦٧ بالمائة من سكانها نتيجة سياسة الإذلال والمضايقات والإغلاق والحواجز والمجازر التي يرتكبها جيش الاحتلال ومستوطنوه، ومن المعروف أن محافظة الخليل قد خسرت (٥١٪) من أراضيها منذ بداية الاحتلال عام ١٩٦٧، وذلك من جزاء نهبها للأغراض الاستيطانية والعسكرية، وتم ضم مساحات واسعة من أراضي المحافظة إلى الأراضي التي احتلت عام ١٩٤٨، أما جدار الضم والفصل العنصري، والذي يمر بأراضي الخليل، والذي يبلغ طوله أكثر من ١٨٦كيلومترا، ويلتهم أكثر من ٦٠ بالمائة من مساحة الأراضي الزراعية، و ١٥ بالمائة من الأراضي المروية، وما مساحته ٦٥ألف دونم من الأراضي بشكل عام، وضمها للمستوطنات التي تم توسيع معظمها، وداخل الخط الأخضر أيضا، ويقتلع الجدار أكثر من ٢٥٠ ألف شتلة زيتون، ويقتطع مساحات واسعة من الأراضي الرعوية، ويدمر بنية الإنتاج الزراعي بشقيه النباتي والحيواني، ويسيطر على مصادر المياه، حيث شكل ضربة قاتلة للاقتصاد في المحافظة، وسيؤدي هذا الجدار إلى محاصرة حوالي ٤٠ ألف مواطن، يقيمون داخل البلدة القديمة من الخليل، وهذا يشكل كارثة حقيقية لسكان الخليل وقضاءها البالغ عددهم ستمائة ألف نسمة.

ويقسم الجدار العنصري والطرق الالتفافية الخليل وقضاءها إلى ٦ مناطق مقطوعة ومعزولة عن بعضها البعض، ويعزلها عن باقي الأراضي الفلسطينية.

ولا بد من التذكير أن للاستيطان في مدينة الخليل بعدين، البعد الأول تاريخي، والبعد الثاني ديني، وقد بدأت أول محاولة استيطانية في المدينة سنة ١٩٦٨، بمصادرة أراض، وإقامة بؤرة استيطانية أولية لمستوطنة كريات أربع، وتوالت محاولات الاستيطان بوتيرة اكبر، تمثلت في استيلاء حفنة مستوطنين على مبنى الديويا (بيت هداسا) سنة ١٩٧٩، ومدرسة أسامة بن المنقذ الابتدائية سنة ١٩٨٢، وأقاموا عليها موقع (بيت رومانو) الاستيطاني، وفي سنة ١٩٨٣، هدم الاحتلال ١٢مبنى في سوق الخضار، وأقام تجمع (ابرهما افينو) الاستيطاني مكانها، وفي العام نفسه، بدأ الاحتلال بإقامة مستوطنة (قفعات خارصينا)، وفي سنة ١٩٨٤، بدأ الاحتلال بإقامة مستوطنة (بيت حقاي)، وفي السنة نفسها، سيطر المستوطنون على الموقع الأثري تل الرميدة، وأقاموا فيه كرفانات متنقلة، حيث أصبح عدد المستوطنات ٢٧ مستوطنة و١٧بؤرة استيطانية، وفي أعقاب اتفاقية الخليل في عام ١٩٩٧ تم تقسيم المدينة جغرافيا وبشريا إلى قسمين ،H١ وH٢،

وازدادت خطوات الاحتلال ضراوة، في إجراءات تهويد المدينة، التي أخذت أشكالاً وأساليب عديدة، منها هدم البيوت، وتشريد السكان، وإغلاق المحال التجارية بأوامر عسكرية، حيث وصل عدد المحال التجارية المغلقة وبشكل دائم، أكثر من ٣٥٠ محلاً تجارياً مغلقاً منذ عدة سنوات، أما المحال المغلقة نتيجة هذه الأوضاع المأساوية، تتراوح بين ١٠٠٠- ١٥٠٠ محل، توجد في محيط البلدة القديمة، وسوق الخضار المركزي، وإغلاق البلدة القديمة واستمرار منع التجوال لفترات طويلة ومتكررة، وخلال السنوات الأخيرة أقامت سلطات الاحتلال ٢٠ مستوطنة جديدة، وفرضت أكثر من ٥٤٤ يوم منع تجوال، ومنعت الآذان في المساجد، وأغلقت الحرم الإبراهيمي الشريف لمدة ١٠ أشهر متواصلة، على اثر المجزرة الوحشية ضد المصلين في الحرم في ١٩٩٤/٢/٢٥، والتي ارتكبها المستوطن باروخ غولد شتاين وهو يرتدي الزي العسكري، والتي راح ضحيتها ٢٩ شهيدا، وإطلاق النار العشوائي، وقتل الأطفال والمواطنين بدم بارد، وإحراق المنازل والممتلكات

وتدمير وتخريب ٢٣٥٦ منشاة ومؤسسة وسرقة محتوياتها، وهدم ٣٨٣٥ منزلاً ومنشاة، ومداهمات البيوت السكنية ليل نهار، واعتقالات بالجملة، والسيطرة والاستيلاء على البيوت، والمحال التجارية والمصانع، ونهب محتوياتها، وفرض قيود على الناس، وشل حركة التنقل تماما، والمعاناة على مدار الساعة من العنف والضرب ، وممارسات الجيش وأفراد حرس الحدود والمستوطنين. وبناء جدار الضم والفصل العنصري، على طول عدة كيلو مترات، حول البؤر الاستيطانية، وارتكاب أعمال تدمير وتجريف للأرض والأشجار، ووضع السكان في سجن كبير، حيث تجد أكثر من ١٠١ حاجز حديدي وإسمنتي، و٧ بوابات الكترونية، و ٥ بوابات مغلقة، وعشرات الحواجز الثابتة والمتحركة، والحواجز الطيارة، ونقاط التفتيش العسكرية في كل الطرقات، وعلى سطوح المنازل، وأكثر من ثلاثة آلاف جندي مسخرين لخدمة وحماية ٥٠٠ مستوطن، يعيشون في بحر من العرب، حيث يقوم كل ستة جنود بحراسة مستوطن واحد لتوفير(الأمن) له، وجاء بناء جدار المعازل هذا ليعمق المشكلة، وليزيد الطين بلة على بله، وليفصل المئات من العائلات العربية داخل البلدة القديمة، والمنطقة التي تسمى H٢ عن بقية سكان المدينة التي تسمى H١.

بالإضافة إلى الجدار الداخلي حول المستوطنات التي تقع داخل المدينة، والجدار الخارجي الذي بدأ من مستوطنة مجدال عوز بالقرب من بيت أمر، مرورا بصوريف، وخاراس، ونوبا، وبيت أولا، وترقوميا، وبلدة إذنا، ودير سامت، وبيت عوا، والبرج، وعرب الرماضين، والسموع جنوبا، وإلى منطقة أم الدرج شرق بلدة يطا، وإلى الآن يصل إلى بلدة بني نعيم في السفوح الشرقية لمحافظة الخليل، حيث يضم بذلك عدة مستوطنات من بينها كرمئيل، وماعون، وسوسيا، وبني حيفر، ومن المعروف أن الجدار يبقي ٧ تجمعات سكانية بدوية خارج الجدار و ٦٨ قرية وخربة صغيرة تابعة لعدة بلدات في هذه المنطقة.

ويطلق الكثير من أبناء الخليل والمتابعون لشؤون الاستيطان مصطلح «عش الدبابير» على الوجود الاستيطاني في المدينة، نتيجة الأذى الذي يلحقونه بأهالي المدينة، وعدم السماح لهم الحركة بحرية في شوارعها، وهو ما يشبه تصرفات «حشرة الدبور» التي تلسع كل من يمر بالقرب منها.

الخليل تتصدى للتهويد

وردا على القرار الصهيوني التهويدي اندلعت صدامات في مدينة الخليل، بين الفلسطينيين وجنود الاحتلال، ورشق عشرات الشبان حاجزا عسكريا في المدينة بالحجارة، و إضراب المتاجر والمدارس، في حين قام الجنود بإطلاق القنابل المسيلة للدموع على المتظاهرين الفلسطينيين.

كما شهدت أحياء القدس مواجهات عارمة مع قوات الاحتلال، في حين تجددت الاشتباكات في بيت لحم، وكذلك عم الإضراب الشامل العديد من مدن الضفة لغربية.

وتتزامن المواجهات في الخليل مع انقضاء العام الخامس على انطلاق المقاومة الشعبية ضد جدار الفصل العنصري ففي قرية بلعين، شارك نحو ٣٠٠٠ متظاهر ومتظاهرة في المسيرة الأسبوعية في القرية، في حين واجهتهم قوات الاحتلال بقنابل الغاز المسيل للدموع وتسببت بحالات اختناق لعشرات المتظاهرين. لكن المتظاهرين تمكنوا من تفكيك أجزاء من الجدار والتسبب بأضرار له، و رشقوا قوات الاحتلال الموجودة بالمكان بالحجارة. وتمكن عدد كبير من المتظاهرين السيطرة على موقع مراقبة للجيش الصهيوني عند الجدار.

وهذه ليست المرة الأولى التي يتمكن فيها نشطاء ضد الجدار من تفكيك أجزاء منه، فقد تمكن نشطاء في العام الماضي بالتسبب بأضرار للجدار وصلت تكلفة إصلاحها أكثر من ١٠٠ ألف دولار أميركي، وفق التقديرات الصهيونية.

و في قريتي نعلين والنبي صالح، أصيب عشرات المواطنين، إلى جانب متضامنين أجانب بحالات إغماء واختناق، إثر قمع قوات الاحتلال لمسيرتين قرية مناهضتين للجدار والاستيطان.

وتدحض أعمال المقاومة كافة المزاعم الصهيونية ذات الصلة بالقرار التهويدي، ومنها: قول رئيس الكيان الصهيوني شمعون بيريز: «إنّ إسرائيل ليست معنية بأي مواجهة، والحديث يدور عن سوء فهم»، وزعم أنّ «إسرائيل، تحترم أي مكان مقدس بالنسبة لأبناء الديانات، ونحن نريد تربية أبنائنا على أن الحديث يدور عن أماكن مقدسة لهم، لكن هذا الأمر لا يتعارض مع سماحنا للمسلمين بالصلاة في هذه الأماكن".

وقد توسس أعمال المقاومة الراهنة لانتفاضه شعبية جديدة لا تشكل ردا على سياسات التهويد الصهيونية فحسب بل ردا على السياسات المتخاذلة لسلطة رام الله الفاسدة والمفسدة.

لجنة المتابعة العليا للمؤتمر الوطني الفلسطيني: لا لتهويد الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال بن رباح

أصدرت لجنة المتابعة العليا للمؤتمر الوطني الفلسطيني وفصائل تحالف القوى الفلسطينية تصريحاً صحفياً، أشارت فيه:

إن قرار حكومة العدو الصهيوني بضم الحرم الإبراهيمي في الخليل ومسجد بلال ابن رباح في بيت لحم يمثل قمة الغطرسة والصلف الصهيوني، ويشكل صفعة لكل الذين يراهنون على إعادة مسار المفاوضات وما يسمى بالعملية السلمية مع هذا العدو الذي يقوم بهذه الإجراءات الخطيرة لتهويد الأماكن المقدسة في مدينة الخليل والقدس وبيت لحم وغيرها من المدن الفلسطينية في إطار خطته التي تهدد مستقبل الوجود الفلسطيني.

إننا ندعو جماهير شعبنا الفلسطيني وكل قوى شعبنا لمواجهة هذه الإجراءات الخطيرة بكل الوسائل الممكنة والتصدي لسياسات الاحتلال، كما تدعو السلطة الفلسطينية لمراجعة سياساتها ووقف التنسيق الأمني مع الاحتلال ووقف الدعوة لإعادة مسار المفاوضات العبثية، وفتح المجال لقوى المقاومة وجماهير شعبنا بممارسة كل أشكال النضال ضد الاحتلال.

كما ندعو الدول العربية والإسلامية وجماهير أمتنا بالتحرك السريع على كل الأصعدة للتصدي لسياسة الغطرسة الصهيونية، وحماية الأماكن المقدسة من مخاطر التهويد والضم، والقيام بمسؤولياتها على المستويات العربية والدولية وكل الهيئات والمؤسسات الدولية.

دمشق ٢٠١٠/٢/٢٣

لجنة المتابعة العليا للمؤتمر الوطني الفلسطيني

Digitized by Birzeit University Library

نتنياهو في موسكو... التحريض ضد إيران... وعلاقات يشوبها التعقيد

محمد رشاد الشريف

تعتبر الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو إلى موسكو في أواسط شهر شباط الماضي واستمرت ثلاثة أيام، الزيارة العلنية الأولى له إلى روسيا منذ عودته إلى رئاسة الحكومة الصهيونية قبل عام، وتطرح أسئلة حول العلاقات الروسية الصهيونية، وموقف روسيا من الصراع العربي الصهيوني، والأهداف التي رمى إليها نتنياهو من وراء هذه الزيارة، في هذا الوقت بالذات، ومدى نجاحه في تحقيق هذه الأهداف، وبعث الحرارة في العلاقات الروسية «الإسرائيلية»...؟؟.

حساسية و خصوصية

يمكن القول إن هذه الزيارة التي قام بها نتنياهو إلى روسيا لها أهمية خاصة بالنظر إلى مسألتين:

أولاً: الأهمية التي ينظر بها الكيان الصهيوني إلى روسيا بوصفها دولة كبرى لها علاقات قوية بدول المنطقة، وعلاقات خاصة بالكيان الصهيوني، ولها تأثير من زوايا معينة على الصراع العربي الصهيوني، وهي من مصدري السلاح لبعض الدول في المنطقة. وثانياً: التوقيت الذي تأتي فيه هذه الزيارة، وخاصة في أجواء التصعيد، وتبادل التهديدات بين الكيان الصهيوني ومعسكر الصمود والمقاومة في المنطقة، والهجمة الغربية الأمريكية الصهيونية التي تستهدف التحشيد، من أجل فرض عقوبات قاسية على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بعد رفعها تخصيب اليورانيوم إلى درجة ٢٠٪.

وتكمن خصوصية العلاقة بين الكيان الصهيوني وروسيا في أن أكبر مجموعة من اليهود في هذا الكيان، تعود في أصولها إلى روسيا أو بلدان الاتحاد السوفييتي السابق، وقسم كبير منهم لم يمض طويل وقت على هجرتهم، في موجة الهجرة الكبرى التي حدثت في التسعينات من القرن العشرين الماضي، وهؤلاء لهم حزبهم الخاص الذي يعتبر من أكثر الأحزاب الصهيونية تطرفاً، وهو حزب «يسرائيل بتينو» بزعامة وزير الخارجية الحالي أفيغدور ليبرمان، والذي قام هو الآخر بزيارة إلى روسيا قبل فترة، حيث يحاول الصهاينة توظيف هذه المسألة للحديث عن ارتباط خاص مع روسيا، وفي الوقت نفسه تجد لهذا الأمر صدى في حديث بعض القادة الروس، ومنهم فلاديمير بوتين رئيس الحكومة الروسية الحالي، الذين يتحدثون عن قسم من الشعب الروسي يعيش في «إسرائيل»، ويعتقدون أن هؤلاء يمكن أن يشكلوا «جسر تواصل ثقافياً وإنسانياً بين البلدين».

وفي الواقع فإن تاريخ العلاقة بين الكيان الصهيوني وروسيا تاريخ متقلب، ولا يمكن وصف العلاقة بين الطرفين بأنها علاقات صداقة أو تحالف بأي حال، فعلى الرغم من أن الاتحاد السوفييتي السابق كان من بين أول الدول التي اعترفت بالكيان الصهيوني بعد الإعلان عن قيامه، إلا أن العلاقات سرعان ما أخذت طابع الجفاء، بعد أن تبين للسوفييت أن هذا الكيان حليف أو قاعدة متقدمة للغرب الاستعماري، وليس كياناً تحررياً وطنياً استقل عن الاستعمار البريطاني، كما كان تشيع القوى الصهيونية عند قيامه. وصار الاتحاد السوفييتي مصدر التسليح والدعم السياسي للرئيس عبد الناصر والدول القومية العربية، ولا يسمح لليهود بالهجرة إلى هذا الكيان، لا بل إنه قام مع الدول الاشتراكية بقطع علاقاته الدبلوماسية مع هذا الكيان إثر حرب ١٩٦٧، ولكنه بعد حرب عام ١٩٧٣ والانفراج الذي حدث في العلاقات مع الولايات المتحدة والغرب، وعقد معاهدات الحد من التسلح، والضغوط التي صار يمارسه الغرب عليه للسماح لليهود بالهجرة خلف يافطة حقوق الإنسان، عاد وسمح بخروج عشرات الألوف من اليهود في كل عام خلال سنوات السبعينات.

ومع سقوط النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي مطلع التسعينات، وتفكك هذا الاتحاد حدث تحول وانعطافة في تاريخ العلاقات بين الكيان الصهيوني وروسيا، التي صارت الوريث الرئيسي للاتحاد السوفييتي، بصفتها الدولة الأساس والأكبر فيه، وقد انفتحت الأبواب أمام الصهاينة للتغلغل في روسيا والبلدان التي نتجت عن تفكك الاتحاد، وتدفقت منها أكبر موجة هجرة في تاريخ المشروع الصهيوني، جاء فيها ما يقارب المليون مهاجر، واجه بعضهم تمييزاً ومشاكل في الكيان الصهيوني، وقسم منهم لم يعتبروا يهوداً، وعاد البعض منهم إلى روسيا بعد تحسن

الأحوال فيها. وفي الوقت نفسه صار الحديث يجري في روسيا عن دور للصهاينة في إسقاط النظام الاشتراكي وتفكك الاتحاد السوفييتي، وأن هناك غالبية من اليهود من بين الذين نهبوا ممتلكات الدولة، والملياردية الجدد الذين ظهروا في روسيا من أمثال بيرزوفسكي وخدروفسكي وغيرهم، و الذين سيطروا على الاقتصاد والإعلام في عهد يلتسين، وهذا الوضع أوجد نقمة ضد الصهاينة في أوساط روسية واسعة، وخاصة من القوميين والشيوعيين.

وإذا كانت العلاقات بين روسيا والكيان الصهيوني علاقات مفتوحة، في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، إلا أنها بدأت تتسم بالحذر نوعاً ما، بعد أن أخذت روسيا في إعادة لملمة نفسها، والتطلع لاستعادة مكانتها بوصفها دولة كبرى في العالم، وبدأت في عهد بوتين قراءة خارطة مصالحها وعلاقاتها، وتوثيق علاقاتها السياسية والاقتصادية مع الدول التي كانت ترتبط تاريخياً مع روسيا بعلاقات جيدة، وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية، ودول الرابطة المستقلة و الدول الآسيوية، والإفريقية والأميركية اللاتينية، وباختصار الدول التي كان لها علاقات طيبة بالاتحاد السوفييتي سابقاً، وفي هذا الإطار جرى تحسين العلاقات مع سورية وإيران اللتين تعتبرهما إسرائيل عدوها الرئيسي في المنطقة. وقد قام القادة الصهاينة بزيارات متوالية إلى روسيا لحثها على عدم التعاون مع إيران وسورية، وعدم تزويدهما بالسلاح، وخاصة منظومات الدفاع الجوي الحديثة. وفي هذا الإطار قام عاموس جلعاد في ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٨ بزيارة روسيا لثنيها عن بيع إيران صواريخ إس٣٠٠ المتطورة، ولوقف التعاون مع إيران في المجال النووي، و مشاركة الغرب في جهوده لفرض العقوبات عليها، ولا يمكن القول إن القادة الصهاينة أصابوا كثيراً من النجاح، وإن كانت جهودهم صبت في مجرى الضغوط الغربية والصهيونية المتواصلة في هذا المجال.

وقد تعرضت العلاقات الروسية الصهيونية إلى شيء من الامتحان، عندما نشب القتال بين جورجيا وروسيا في آب ٢٠٠٨، فقد كان واضحاً أن الكيان الصهيوني ساهم في تسليح وتدريب القوات الجورجية، و تحريضها على الهجوم على أوسيتيا، الأمر الذي أثار غضباً روسياً، ولوماً داخل الكيان الصهيوني على المراهنة على جورجيا، واستفزاز روسيا التي تعتبر دولة كبيرة، العلاقات معها أهم.

ويمكن القول إن موقفاً متناقضاً يحكم نظرة القادة الصهاينة إلى روسيا، فمن جهة هناك موقف عدائي مضمر تجاه روسيا، اتساقاً مع الموقف الغربي الذي لا يريد أن لا تنهض روسيا وتعود لدورها بوصفها دولة عظمى، وبسب العلاقات بين روسيا والشعوب العربية، وخاصة مع سورية وإيران. ومن جهة أخرى فإن الكيان الصهيوني يرى ضرورة تحسين العلاقات مع القوى العظمى المقبلة كالصين والهند وروسيا، في ضوء التغيرات المتوقعة في التوازنات الدولية، واحتمال تراجع وزن ومكانة الولايات المتحدة الحليف الأساسي لهذا الكيان.

هل حققت زيارة نتنياهو أغراضها؟-

في سياق هذه العلاقات تأتي زيارة بنيامين نتنياهو لموسكو، التي سبقتها زيارة سرية قبل أشهر، من أجل تعزيز العلاقات بين البلدين، واستخدامها للتحريض ضد إيران، والحث على المشاركة في فرض العقوبات ضدها، واستغلال الانزعاج الذي أبدته روسيا من رفع إيران تخصيب اليورانيوم إلى ٢٠٪، وللمطالبة بعدم تسليمها منظومة إس ٣٠٠ للدفاع الجوي، والقول إن الأسلحة التي تباع لها ولسورية تصل إلى أيدي حزب الله وحماس، ومن تسميهم «منظمات الإرهاب» في المنطقة، ولإبداء الانزعاج من استقبال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، الذي زار موسكو مع وفد من الحركة قبل أسبوع من زيارة نتنياهو.

ولم يكن استقبال نتنياهو في موسكو حاراً، إذ صبت الأوساط الروسية ماءً بارداً على هذه الزيارة حين أعلنت أن «منظومة إس ٣٠٠ هي منظومة دفاعية ولا مانع من تزويد طهران بها»، وقال فلاديمير نزاروف نائب الوزير في مجلس الأمن الروسي: «هناك اتفاق مبرم ونحن ملتزمون به ولكن التزويد لم يبدأ بعد»، وقبل ذلك بأسبوع كانت روسيا منعت عقد مؤتمر للوكالة اليهودية في موسكو، و قبل أشهر أغلقت مكاتب بعثة ناتيف في روسيا التي تعنى بشؤون الهجرة اليهودية، وأبعدت رئيسها شموئيل بوليشوك بشبهة تجسس، وقيل إن نتنياهو ابتلع هذه الإجراءات أملاً في ضم روسيا إلى العقوبات الدولية، ومنع بيع أسلحة لإيران وسورية «تخل بالتوازن» في المنطقة كما قال.

وفي الوقت الذي لم تعلق فيه موسكو كثيراً على المحادثات التي أجراها نتنياهو مع الرئيس الروسي ميديديف الذي اكتفى بالحديث عن «علاقات خاصة تربط روسيا بإسرائيل»، وأنه، لا يستبعد العقوبات على إيران، فإن نتنياهو طالب ب«عقوبات ذات أنياب ضد إيران»، «عقوبات موجعة تضرب بطريقة مقنعة قطاعات النفط والطاقة والواردات والصادرات إضافة إلى قدرات التكرير»، وأشار في الوقت نفسه إلى، أن إسرائيل لا تنوي شن حرب على إيران»، وقال «إننا لا نخطط لأي حرب». وقد أشار مراسلون «إسرائيليون» إلى أن نتنياهو عرض، تعزيز التعاون الاقتصادي، وإعطاء روسيا دور شريك في العملية السلمية»، و طلب إبلاغ حماس أنه راغب في إتمام صفقة الأسرى، ولكنه لن يغير العرض الذي قدمه في هذا المجال، و قال: «إنه مستعد للقاء أبو مازن في موسكو أو في أي مكان آخر من أجل استئناف المفاوضات». وتناولت المحادثات أيضاً المسارين السوري واللبناني، لأن، روسيا تؤمن بأنه لا يمكن تحقيق سلام في المنطقة دون حدوث التسوية على هذين المسارين». وقد اجتمع الوفد الصهيوني الذي مع رئيس الوزراء الروسي فلاديمير بوتين وبحث معه القضايا نفسها.

ويمكن القول أنه على الرغم من الإعلان في موسكو عن تأخير تسليم منظومة إس٣٠٠ لإيران «لأسباب تقنية»، والذي اعتبر «سياسياً» من جانب المراقبين، للتعبير عن انزعاج موسكو من الخطوة الإيرانية الأخيرة في تخصيب اليورانيوم، فإنه لا يمكن القول إن هذه الزيارة حققت اختراقاً، إذ أعلن نائب وزير الخارجية الروسي سيرجي ريباكوف بعد أيام قليلة من زيارة نتنياهو: «أن موسكو عازمة على تنفيذ صفقة تزويد إيران بمنظومة إس ٣٠٠ الدفاعية»، و«أن روسيا لا توافق على عقوبات تصيب إيران بالشلل».

وبالإجمال لا يمكن القول إن زيارة نتنياهو أحدثت نقلة، أو تغييراً في سوية العلاقات الروسية الإسرائيلية، التي تحكمها اعتبارات متعددة أشرنا إلى بعضها، وبالإجمال فهي علاقات يشوبها التعقيد، وتقوم على المصالح التي تتلاقى حيناً، وتتفارق أحياناً، وقد زال عنها الطابع العقدي الذي كان يحكمها أيام الاتحاد السوفييتي والشيوعية، و الطرفان الروسي و«الإسرائيلي» يحرصان على المحافظة عليها، لاعتبارات خاصة بكل منهما، وهذه العلاقات لا تختلف اليوم بعد زيارة نتنياهو عما كانت عليه قبلها.

Digitized by Birzeit University Library

كيان مفتعل هش وفساد منظم يزعم الطهارة

م.ك

يتمحور الفساد السياسي والإداري والمالي في الكيان الصهيوني، وهو فساد منظم، حول ثلاثة أنواع من الفساد هي: الامتيازات الحكومية، الرشوة، والتعيينات السياسية، وهو منتشر بدءاً من رئيس الحكومة ومروراً بالوزراء وأعضاء الكنيست والموظفين الكبار، وصولاً إلى القطاع الخاص ومختلف مكونات المجتمع. وهذا ما دفع رئيس الكنيست السابق «أبراهام بورغ» إلى القول: «إن إسرائيل غدت دولة من المستوطنين تقودها زمرة من الفاسدين». كما لخص الخبيران الأكاديميان البروفيسور «يسرائيل أومان» والبروفيسور «أهارون تشاحنوفر» استشراء الفساد حين أقرا بتدهور القيم واضطراب الروح وأفولها في «إسرائيل»، التي تسير في الاتجاه غير الصحيح، وتنجر في الظلمة نحو هلاك محتمل ليس بسبب أعدائها الخارجيين، وإنما «بسببنا نحن الشعب وقادتنا أو من يدعون القيادة، نحن الإسرائيليين لدينا قيادة تعيش كل الوقت تحت علامة استفهام أخلاقية، والجمهور لا يثق بها!!».

وتعاظم حجم الفساد السياسي، بعد مثول رئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت للتحقيق مع وحدة شرطة مكافحة جرائم الغش والاحتيال بتهمة محاولة ممارسة نفوذه حين كان يتولى منصب وزير المالية لإرساء عطاء بنك اللومي في أثناء خصخصته على اثنين من الأثرياء اليهود من أصدقائه، فضلا عن غيرها من الاتهامات.

ولعل من أبرز مظاهر الفساد في الكيان الصهيوني: الجرائم الأخلاقية والفضائح الجنسية، ومنها: الفضيحة الجنسية التي طاردت رئيس الدولة السابق «موشيه كتساف»، حيث اتهم بالتحرش، بل محاولة اغتصاب عدد من الموظفات العاملات في مكتبه. وتورط مديرة مكتب أولمرت «شولا زاكين»، في قضايا غش وفساد وإساءة الائتمان واستغلال موقعها الحساس في تعيين موظفين كبار. والفساد الذي أصاب سلطة الضرائب، حيث تم اعتقال رئيس سلطة الضرائب «جاكي ماتسا»، وتم التحقيق مع ٢٠ مسؤولا في الجهاز الضريبي، و٤ مقاولين بتهم تلقي وتقديم رشاوى. واتهام وزير المالية «أبراهام هيرشيزون»، بالسرقة وتبييض الأموال، والخداع.

ولوحق تساحي هنغبي، النائب عن الليكود ورئيس لجنة الشؤون الخارجية والدفاع، بتهم الفساد والاحتيال واستغلال الثقة، وتعيينات سياسية تعسفية حين كان وزيرا للبيئة بين ١٩٩٩ و٢٠٠٣.

وكان الرئيس «الإسرائيلي» الأسبق «عيزرا وايزمن» قد اضطر للاستقالة في يوليو ٢٠٠٠، بسبب فضيحة تهرب من الضرائب وفساد، وشكل رئيس الوزراء الأسبق «إريل شارون» علامة فارقة مع عائلته في تاريخ الفساد من حيث تلقي الرشى، وقد حكم على عومري شارون النائب عن الليكود في فبراير (شباط) ٢٠٠٦ بالسجن تسعة أشهر بتهمة الإدلاء «بشهادات كاذبة» تحت القسم وتزوير مستندات واستخدام مستندات مزورة في إطار قضية تمويل حملة انتخابية لوالده عام ١٩٩٩ وعلقت عقوبة عمري شارون طالما ان والده في غيبوبة في المستشفى. في حين كان الحكم على وزير الحزب الأسبق «إسحاق مردخاي» بالسجن ١٨ شهرا مع وقف التنفيذ بتهمة الاعتداء الجنسي على موظفة في وزارته، وملاحقة القضاء لرئيس رئيس الوزراء الحالي «بنيامين نتنياهو» خلال حكومته الأولى للاشتباه بأنه أراد تسديد كلفة أعمال ترميم أجراها في منزله الخاص من أموال دافعي الضرائب وأنه حاول حيازة هدايا تلقاها بصفته رئيسا للوزراء في حين يفترض به أن يعيدها إلى الدولة.

وقد أظهر تقرير حول الفساد في أروقة السلطة «الإسرائيلية»، أن وزير الخارجية، أفيغدور ليبرمان هو الأكثر فسادا بين الوزراء، بعيون الجمهور "الإسرائيلي". وبحسب استطلاع "جدول الفساد" لمؤتمر «إسرائيل – سديروت للشؤون الاجتماعية»، فان ٦٧ ٪ من الجمهور "الإسرائيلي" يعتقد بان مستوى الفساد في السلطة في «إسرائيل» هو عال حتى عال جدا، مقابل ٣ ٪ فقط يعتقدون أن الفساد متدن حتى متدن جداً.

وجاء ليبرمان في المركز الأول بين الوزراء (٥٥٪)، تلاه في المركز الثاني، وزير الداخلية، ايلي يشاي (٥٢٪) أما المركز الثالث فتقاسمه

رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، ووزير النقل، يسرائيل كاتس (٣٩ ٪لكل منهما) وفي المرتبة الرابعة جاء وزير الأمن، ايهود باراك (٣٧٪)، يليه وزيرة الثقافة والرياضة، ليمور ليفنات، (٣٢٪).

وحسب استطلاع أجراه معهد "ماجار موحوت". يعتقد ٧٧٪ من الجمهور، ان الوزير بيني بيغن هو الأكثر استقامة يتبعه في المركز الثاني وزير الرفاه، يتسحاق هرتسوغ ٦٨٪ والثالث رئيس الكنيست رووفين رفلين ٦٧٪.

ونشر مراقب الدولة، القاضي ميخا ليندنشتراوس تقريرا عن نفقات الأحزاب في أواخر الكنيست السابقة وفي الحملة الانتخابية للكنيست الحالية، تضمن اتهامات خطيرة حول تبذير الأموال العامة واشتباه بمس بطهارة المقاييس. ومحظور ان يعلو هذا التقرير الغبار وينسى. فهو يلزم السلطات بعمل نشط للقضاء على الوباء. على الأحزاب التي اتهمت في التقرير ان تعيد الأموال العامة التي بذرتها عبثا، والمستشار القانوني للحكومة مطالب بأن يفحص إذا ما كانت ارتكبت مخالفات جنائية.

وحسب التقرير كان حزب «إسرائيل بيتنا»، الحزب الأكثر تبذيرا، فقد عقد مهرجانين انتخابيين بإنفاق بلغ ٣٩٩ ألف شاقل، ١١٨ ألف شاقل انفق "إسرائيل بيتنا" على السفريات الى خارج البلاد، بينها وبين الحملة الانتخابية لا توجد أي صلة، نحو مليون شاقل دفعه الحزب كـ "بدل نجاح" لمستشاريه.

واعتبر تقرير صادر عن البنك الدولي: أن نسبة الفساد في المؤسسات الرسمية «الإسرائيلية»، فاقت النسبة المقبولة في الدول المتقدمة، حيث وصلت إلى ٨,٨٪، بينما في الدول الغربية لا تزيد على ٤,٩١٪، مما وضع «إسرائيل» في أسفل سلم الدول الغربية، وعلى رأس قائمة الدول الأكثر فسادا في مجموعة الدول المتقدمة، وأنها من الدول الأكثر خطورة، من حيث عدم تطبيق القانون والفلتان الاقتصادي و الفساد في المؤسسات الحكومية والخاصة على حد سواء.

وقد لعبت «إسرائيل» دوراً كبيرا في تفعيل وتضخيم ظاهرة الفساد في الضفة الغربية وقطاع غزة. انطلاقا من مقولة سادت في أوساط المفكرين اليساريين في الدولة العبرية مفادها أن "الاحتلال يفسد إسرائيل ذاتها". وقد يكون رابين قد رأى أن إبعاد الفساد عن "إسرائيل" يقتضي التخلي عن الاحتلال مع إفساد السلطة التي تحل مكان الاحتلال. وحل مكان شعار «بلي باغتس ويلي بتسيلم» لإسحق رابين شعار المستشار السياسي لرئيس الوزراء الأسبق أرييل شارون، دوف فايسغلاس، ففي معرض تبرير فايسغلاس لإدراج هدف الدولة الفلسطينية في خريطة الطريق، قال إن على الفلسطينيين قبل أن يصلوا إلى هذا الهدف أن يتحولوا إلى «سويديين». وهذا ما استتبع من "إسرائيل" التشدد أمام الدول المانحة في المطالبة بـ«شفافية» أداء السلطة ماليا من ناحية، وتشجيع مظاهر الفساد من ناحية أخرى. استغلال الفساد الفلسطيني من أجل عدم القبول بإنشاء الدولة. ومن المؤكد أنه ليست "لإسرائيل" مصلحة في نشوء سلطة فلسطينية نزيهة وشفافة وديمقراطية. فمثل هذه الصفات تفقد "إسرائيل" أحد أبرز ادعاءاتها بشأن قواسمها المشتركة مع الغرب.

وشجعت «إسرائيل» منظومة الاحتكارات التي أنشأها رجال السلطة، والتي زادت من أعباء تكلفة المواد (البناء والوقود والأغذية والسجائر) على بسطاء الفلسطينيين. والأدهى أن منظومة الفساد قادت الكثير من قادة أجهزة السلطة إلى العمل في مجال التهريب من "إسرائيل"، ما كان يخدم حصة الدولة العبرية في نظام المقاصة الضريبية، حيث إن التهريب من "إسرائيل" كان يحرم خزينة السلطة من عائدات ضريبة القيمة المضافة. وقدمت «إسرائيل» الدعم لهذا الفساد عبر إرسال أموال إلى الحسابات الخاصة لمسؤولين فلسطينيين.

ويمكن اعتبار الفساد الفلسطيني في أحد جوانبه بضاعة "إسرائيلية" المنشأ، وكشف حكومة نتنياهو للمستور من فساد السلطة الفلسطينية هو أداة ضغط سياسي لابتزاز السلطة ودفعها نحو تقديم تنازلات سياسية. ولا يمت هذا الاستثمار "الإسرائيلي" بصلة لأي شكل من أشكال الحرص على أخلاقية وشفافية شريك في عملية السلام العتيد.

Digitized by Birzeit University Library

قراءة في خطاب السيد حسن نصر الله
مفردات مقاومة تصنع لغة التحدي في سجل صراع مديد

سيد حسن سيد

تحدث السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبناني والقائد الرمز لحركة قوى المقاومة اللبنانية، ملقياً خطاباً مهماً، ليس بسبب مفرداته القوية البلاغة، وانما بسبب المحتوى المضموني، والذي أكد كل الخبراء والمحللين بأنه ينطوي على ما يمكن تسميته بـ «اللحظة الإستراتيجية، التي تشكل النقطة الفاصلة التي يجب أن تتم بعد مراجعة كل الحسابات الإستراتيجية المتعلقة بمنطقة شرق المتوسط.

- الردع والردع المضاد: مقاربة السيد حسن نصر الله:

سعى السيد حسن نصر الله إلى التطرق بقدر عالٍ من الوضوح والشفافية إلى تثبيت مفهوم الردع والردع المضاد في أذهان «الإسرائيليين»، وعلى وجه الخصوص «الإسرائيليين» المعنيين بعملية صنع واتخاذ القرار «الإسرائيلي».

وما أشار إليه السيد حسن نصر الله، يتضمن الآتي:

- مقابلة الفعل العدواني «الإسرائيلي» بفعل القصاص المقاوم.

- تركيز القصاص المقاوم على استهداف الأهداف نفسها التي يستهدفها الفعل العدواني «الإسرائيلي».

تشير المعطيات العلمية المتفق عليها بإجماع الخبراء السياسيين والعسكريين والأمنيين إلى أن مفهوم الردع ينطوي على ثلاثة مكونات أساسية الأول يتمثل في امتلاك القدرة على إسقاط القوة، والثاني يتضمن القدرة الرمزية المتعلقة بالتهديد والتلويح باستخدام القوة، والثالث يتضمن توافر المصداقية والإرادة لجهة الإستخدام الفعلي للقوة..

المطابقة بين المحتوى المضموني لخطاب السيد حسن نصر الله، والمحتوى المفهوم للردع، تشير بوضوح إلى مدى مصداقية القصاص الذي سوف يقع على عاتق «الإسرائيليين»، إذا تجرأ طرف «إسرائيلي» على القيام بالفعل العدواني، وبكلمات أخرى: قصف مطار بيروت سوف يقابله ليس قصف مطار بن غوريون وحسب.. وإنما المزيد من المطارات «الإسرائيلية».. وقصف الأهداف المدنية اللبنانية سوف يقابله قصف المزيد من الأهداف المدنية الإسرائيلية.. وهلمّ جرّا...

- مقاربة الحسابات الإستراتيجية الجديدة:

اعتمدت الحسابات الإستراتيجية «الإسرائيلية» طوال الـ ٦٢ عاماً الماضية، على عاملين رئيسيين، يتمثل الأول في الحفاظ على التفوق «الإسرائيلي» في الميزان العسكري الشرق أوسطي، والثاني في اللجوء لإشعال الحروب العدوانية عن طريق إسقاط القوة الغاشمة. ومن أبرز العوامل التي ظلت تدعم الأداء السلوكي العدواني «الإسرائيلي» المفتوح: تجد الدعم الأمريكي-الأوروبي الغربي المفتوح، إضافة إلى التسويق الرمزي-الإعلامي واسع النطاق لفكرة أن كل ما تقوم به «إسرائيل» من اعتداءات وانتهاكات هو أمر يندرج ضمن حق الدفاع عن النفس!!

راهنت العقلية العدوانية «الإسرائيلية» على استخدام مفهوم الاستباق كخيار وحيد تراهن عليه وتعتمد المؤسسة العسكرية-الأمنية «الإسرائيلية» في التعامل مع المخاطر المحتملة لجهة تهديد الأمن «الإسرائيلي»:

- حساب عوامل القوة والضعف: خلال فترة ما قبل حرب لبنان الثانية في صيف عام ٢٠٠٦م، كان الإدراك «الإسرائيلي» لعوامل القوة والضعف، يقوم على أساس اعتبارات إمكانية «إسرائيل» المتجددة وغير المحدودة على القيام بتكرار سيناريو حرب لبنان الأولى عام ٢٠٠٦م، لجهة القيام بتصفية المقاومة اللبنانية وفرض الإملاءات «الإسرائيلية»، الوحيدة الاتجاه على البيئة السياسية اللبنانية.

- حسابات الفرص والمخاطر: خلال فترة ما قبل حرب لبنان الثانية في صيف عام ٢٠٠٦م، كان الإدراك «الإسرائيلي» لحسابات الفرص والمخاطر، يقوم على أساس اعتبارات أن الفرصة متاحة على نحو دائم أمام «إسرائيل» لجهة القيام باستهداف خصومها في الساحة اللبنانية، والذين هم بالضرورة لا حيلة لهم في مواجهة الخطر «الإسرائيلي»..

عند الجمع بين حسابات عوامل القوة والضعف، وحسابات الفرص والمخاطر، نلاحظ أن تأثير عامل حزب الله اللبناني، قد أدى إلى تغيير كامل المعادلة، وتأسيساً على ذلك، نلاحظ أن التغيير قد شمل الأبعاد الإستراتيجية الآتية:

- متغير نافذة الفرصة: لم يعد حزب الله

اللبناني مجرد مجموعة مسلحة تقوم بتطبيق أساليب حزب المقاومة المسلحة التقليدية القائمة على مبدأ «اضرب واهرب»... وإنما أصبح الحزب قادراً على تنفيذ الضربات الكبيرة الرادعة.

- متغير نافذة الانكشاف: لم تعد «إسرائيل» قادرة على الإيفاء بمتطلبات حماية أمنها الداخلي، وبرغم الآلة العسكرية المتطورة، فإن كل «إسرائيل» أصبحت بمثابة نافذة مكشوفة أمام ضربات حزب الله اللبناني.

تضمن خطاب السيد حسن نصر الله الإشارة الواضحة والصريحة لمدى قدرة ومصداقية حزب الله اللبناني لجهة القيام باستغلال وتوظيف متغير نافذة الفرصة المتاحة أمامه.. طالما أن نافذة الانكشاف «الإسرائيلي» ماثلة أمامه، وأن قدراته تستطيع أن تطال كل المناطق «الإسرائيلية»... وهي المناطق التي لم تفلح كل الجهود «الإسرائيلية» والأميركية من توفير الغطاء اللازم لحمايتها من مخاطر الانكشاف..

- أزمة منظومة الأمن-الردع «الإسرائيلي»: إشكالية النتائج غير الموائمة

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك نظام القطبية الثنائية، أدى صعود قوة نفوذ الولايات المتحدة الأميركية إلى دفع العقل الإستراتيجي «الإسرائيلي» لجهة السعي من أجل استغلال الفرصة بأكبر ما يمكن، وتقليل المخاطر لأقل ما يمكن، وعلى هذه الخلفية، سعت نظرية الأمن «الإسرائيلي» إلى مقاربة مفهوم أمن «إسرائيل» من خلال الآتي:

- معطيات مقاربة مفهوم أمن الحدود الشمالية «الإسرائيلية»، على أساس اعتبارات فرضية أن «إسرائيل» ليست دولة عادية صغيرة تتعامل ضمن مفاهيم الحدود السياسية التقليدية، وبالتالي فإن حدود «إسرائيل» الشمالية ليست هي الحدود مع سورية ولبنان، وإنما هي مجال حيوي يمتد من خط الحدود السوية ولبنان.. ليشمل كل المنطقة التي تصل إلى أعماق آسيا الوسطى، وتحديد حدود كازاخستان مع روسيا ومنغوليا والصين.

- معطيات مقاربة مفهوم أمن الحدود الجنوبية «الإسرائيلية»، على أساس اعتبارات فرضية أن «إسرائيل» ليست دولة عادية صغيرة تتعامل ضمن مفاهيم الحدود السياسية التقليدية، وبالتالي فإن حدود «إسرائيل» الجنوبية ليس هي الحدود مع مصر وقطاع غزة وساحل البحر الأحمر عند مضيق العقبة، وإنما هي مجال حيوي يمتد من خط الحدود مع مصر وقطاع غزة وخليج العقبة، ليشمل كل المنطقة التي تصل إلى نيجيريا ومنطقة البحيرات العظمى الإفريقية، وخليج عدن، إضافة إلى دول الجنوب الإفريقي.

- معطيات مقاربة مفهوم أمن الحدود الشرقية «الإسرائيلية»، على أساس اعتبارات فرضية أن «إسرائيل» ليست دولة عادية صغيرة تتعامل ضمن مفاهيم الحدود مع الأردن وحسب، ومن ثمّ، فإن حدود «إسرائيل» الشرقية هي مجال حيوي يشمل كل منطقة الجزيرة العربية بما في ذلك السعودية وبلدان الخليج واليمن، إضافة إلى منطقة المحيط الهندي وصولاً إلى مناطق جنوب آسيا والهند وباكستان.

نلاحظ أن القدرات العسكرية «الإسرائيلية»، بدأت تشهد المزيد من التطورات التي تحاول تلبية التزامات تأمين هذه الرقعة الجيوبوليتيكية الهائلة، وذلك على نحو يعطي الإحساس ويخلق الانطباع بأن تل أبيب تسعى لاحقاً إلى إحلال أمريكا في قيادة النظام الدولي.. وبكلمات أخرى إذا كانت واشنطن تتوهم أنها قادرة على ابتزاز قدرات الشعوب والأمم الأخرى بما يتيح لها الجلوس على رأس النظام الدولي.. فإن «إسرائيل» تسعى إلى ابتزاز القدرات الأميركية ثم الجلوس على رأس النظام الدولي من خلال الجلوس على رأس أميركا!!!، هكذا تقول المفارقة وسخرية القدر!!!.

خطاب السيد حسن نصر الله.. والذي أكد فيه بقدر عالٍ من المصداقية بأنه سوف يقصف كل من «بإسرائيل».. هو خطاب سوف تكون مفرداته وقعاً صاعقاً على رؤوس خبراء الأمن الإسرائيلي.. فقد صب السيد حسن نصر الله الماء الساخن.. والساخن جداً.. على رؤوس الإستراتيجيين «الإسرائيليين» الباردة.. والباردة جداً بفعل تدفقات الدعم الأميركي-الغربي غير المحدود، والتي جعلتهم في حالة إيمان مطلق بفكرة أن «إسرائيل» تستطيع أن تفعل ما تشاء وفي أي وقت تريد..

وأخيراً نقول: اعتقد الفكر الإستراتيجي «الإسرائيلي» لفترة طويلة بأن «إسرائيل» تملك «نافذة الفرصة».. والتي من خلالها تستطيع الاستغلال اللا محدود واللا مقيد لـ «نافذة الانكشاف» التي يعاني منها خصومها في المنطقة.. ولن يستطيع خصوم «إسرائيل» مطلقاً القضاء على «نافذة الانكشاف» هذا.. ولكن ما كان مفاجئاً «للإسرائيليين» هذه المرة.. أن خطاب السيد حسن نصر الله.. قد أكد درساً عملياً إستراتيجياً بالغ الأهمية.. وذلك من خلال تأكيده على تحقيق القفزة النوعية.. والتي من خلالها أن خصوم «إسرائيل» في المنطقة لن ينتظروا ريثما يفتحون نافذة الانكشاف أولاً.. ثم البحث بعد ذلك عن نافذة الفرصة.. وإنما سعوا مباشرة إلى تحديد نافذة انكشاف «إسرائيل».. والتهدئة بالتعامل معها على نحو مباشر على غرار معادلة.. نافذة انكشاف.. مقابل نافذة انكشاف.. وبكلمات أخرى.. مطار بمطار.. ومصنع بمصنع.. ومن ثمّ فإن مدرسة قانا اللبنانية.. سوف تقابلها مدرسة قانا «الإسرائيلية»، وعلى تل أبيب أن تفهم.. الحقيقة القائلة بأن البادي أظلم!!!

Digitized by Birzeit University Library

المفكر العربي فهمي هويدي لـ (فتح):

*الشعب العربي سيهدم الجدار في أقرب فرصة

*لا علاقة للأمن القومي المصري ببناء جدار العار

حوار: عفاف المنيري

فهمي هويدي كاتب من طراز خاص فهو يجمع في مقالاته وكتبه بين القومية والإسلام، لذا يصفه البعض بأنه رمز للتيار الديني المستنير، ويراه البعض الآخر عروبيا في لغة إسلامية، وفي كل الأحيان هو رجل صادق لم يهادن في الحق ولم يتراجع خطوة عن ما يعتقد أنه الحق، ومن هنا تأتي اهمية الحوار الذي أجرته مجلة «فتح» معه في بيته بالمقطم، في ضاحية مصر الجديدة ، حول الجدار الفولاذي العازل الذي تشيده حكومة مصر حاليا عند رفح، ووصفه فهمي هويدي ومن بعده المصريون بـ«جدار العار» المصريون أو السد الواطي مقارنة بالسد العالي الذي بناه الزعيم جمال عبد الناصر في ستينات القرن الماضي وحمى مصر من خطر الفيضان. وهنا نص الحوار:-

× أستاذ فهمي ..هل تعتقد ان لهذا الجدار مستقبلاً ؟

- الغريب إننا في زمن تتهدم فيه كل الأسوار التي تفصل بين البشر، وقد تهدم سور برلين ومن بعده سور بلفاست وعشرات الأسوار لم يعد لها معنى، كيف تبني سورا في زمن الفضاء المفتوح، ولمن تبني هذا السور؟ ممن تريد ان تحمي مصر؟

الواقع ان هذا الجدار تحيطه لعنات المسلمين ولا يمكن ان يكون له مستقبل ،وعندما تتغير الرؤية السائدة حاليا ويتغير النظام ستعود الأمور الى طبيعتها.

× السلطة تقول ان هناك متفجرات وقنابل تتسلل الى مصر عن طريق الأنفاق؟

- هناك مليون وسيلة لمنع تسلل المتفجرات الى مصر ،وأنا لا ادخل في هذا النوع من الجدل فهذه ادعاءات أمنية لها حلول من النوع نفسه علما بأنه حسب علمي لم تثر في أي وقت خلال اللقاءات التي تمت في القاهرة بين ممثلي حماس وبين الأجهزة الأمنية المصرية التي تدير الملف، بل على العكس فالمسؤولون في بلادنا يعرفون جيدا أن الأنفاق استخدمت في تلبية احتياجات قطاع غزة المعيشية، من لبن الأطفال الى الأدوية والغذاء، وقد شاهدنا على شاشات التليفزيون كيف يدخل إخواننا الفلسطينيون كل شيء حتى المواشي من الأنفاق، ومعنى ذلك انه لا توجد اسلحة ولا متفجرات عن طريق الأنفاق، وقوات الأمن المصرية التي تلاحق المهربين عبر الأنفاق لم تضبط سلاحا في أي مرة.

لكن الشرطة تحدثت عن ضبط مواد غذائية وأقمشة في مدينة «الشيخ زويد» كانت معدة للتهريب عبر رفح، كما تحدث عن ضبط كميات من الأسمنت بإحدى المزارع في رفح قبل تهريبها عبر الأنفاق للاستعانة بها في ترميم البنايات المدمرة. والثابت أن هناك مصريين استفادوا من عمليات تهريب البضائع، التي قدرت قيمتها بنصف مليار دولار سنويا، وكان عشرات من الأهالي في الشيخ زويد قد ثاروا وأحرقوا إطارات السيارات، حين صادرت الشرطة المواد الغذائية والأقمشة التي كان مزمعا تهريبها عبر الأنفاق والتي صارت مصدرا للرزق لمصريين، والمشكلة تكمن في ان الاف التجار من أبناء العريش سوف يتضررون من الجدار، كما إننا نضع الشعب الفلسطيني في مازق رهيب، لأنهم لم يلجأوا الى الأنفاق إلا لتوفير المواد الغذائية والدواء، وحتى ان حصلوا على السلاح فهذا حقهم، فهم حركة مقاومة وتحرر وطني ومصر لها دور تاريخي في دعم حركات التحرر ولا يمكن ان تتنصل من تاريخها بتغير النظام الحاكم.

× تقصد مصر عبد الناصر؟

- مصر عبد الناصر أو مصر محمد علي أو أي نظام حتى الملك فاروق دخل حرب ٤٨ وهو يدرك أن مصر لا يمكن أن تتخلى عن دورها في المنطقة، وإذا كانت الحكومة تصدعنا في الخطاب الرسمي يوميا عن قضية العرب المركزية، ودورها في المصالحة فكان عليها ان تسأل حماس وباقي الفصائل قبل بناء الجدار، إما ان تشرع وحدها ومن تلقاء نفسها ببنائه ثم تتحدث عن دور مصر في دعم الشعب الفلسطيني فهذا تناقض كبير وغير مفهوم.

الجدار فكرة صهيوأميركية

× تقول الحكومة المصرية على لسان وزير الخارجية أبو الغيط، انه تم تهريب مصريين عبر هذه الأنفاق وجرى تدريبهم من خلال منظمات إسلامية فلسطينية داخل قطاع غزة وهؤلاء شنوا هجمات إرهابية في سيناء وقتلوا وأصابوا عشرات السياح ؟

- هذا موضوع ليس له علاقة بالأنفاق لأن عمليات التسلل تتم عن طريق الصحراء، وليس عن طريق الأنفاق، وكما هو معروف هناك مئات وربما الاف الأفارقة والصينيين وغيرهم من الجنسيات تسللوا عبر الحدود ودخلوا الى الكيان الصهيوني عن طريق الصحراء المصرية، بدليل أن الكيان الصهيوني يبني الآن سورا مكهربا لوقف تدفق المهاجرين عبر سيناء، أما ما يثار عن تدريب متطرفين مصريين في غزة للقيام بهجمات إرهابية في سيناء، فهو ادعاء أمني لم يثبت، لكنه يساق الآن لتبرير إغلاق الأنفاق وبناء الجدار، فوقف عمليات تدريب الإرهابيين يكون بالتنسيق مع حماس ومع الأخوة الفلسطينيين فهم لا يمكن أن يقبلوا أن تصاب بلادنا بمكروه، وأنا أثق في كل فلسطيني عربي يحب مصر ويخاف عليها ،وهذا موضوع لا علاقة له بالجدار على أي نحو.

× هل تعتقد ان بناء الجدار هو فكرة أميركية صهيونية وليست وليدة العقل الرسمي المصري؟

- طبعا، بناء الجدار فكرة طرأت على القيادة المصرية بناء على ضغوط أميركية وصهيونية بزعم ان حركة حماس تهدد امن الكيان الصهيوني من جهة وتهدد أمن مصر من

جهة اخرى، وهي فكرة وجود إمارة إسلامية على حدود مصر والمدهش ان القيادة المصرية عندها قلق من حماس أكثر من قلقها من الكيان الصهيوني،هذا أمر غريب ويصعب فهمه، لأن بناء هذا الجدار تم العمل فيه بناء علي اتفاقية أميركية صهيونية جرت في آخر يوم للرئيس الأميركي السابق بوش في السلطة وقال المسؤولون في مصر وقتها أن مصر خارج هذه الاتفاقية، لكن الأيام أثبتت ان حكومة مصر ضالعة فيها.

قضية حزب الله والجدار

× هناك تسريبات حكومية بأن هل حزب الله اللبناني قام بعمل شبكة عسكرية في مصر تقوم بتهريب السلاح عبر الأنفاق بدون أخطار الجهات الرسمية المصرية.. هل هناك علاقة بخلية حزب الله التي القي القبض عليها بقصة الجدار؟

- الحكومة المصرية تقول كلاما كثيرا في هذا الموضوع وتزعم ان حزب الله أقام شبكة لإمداد حماس بالسلاح وأنها حصلت على هذه المعلومات بعد القبض على الخلية في القضية المنظورة أمام القضاء، والشيء الوحيد الثابت في القضية أن أحد أعضاء حزب الله جاء إلى مصر لدراسة كيفية تقديم العون للمقاومة في غزة، والشيء الوحيد الذي قاله السيد حسن نصر الله هو أن احد الأشخاص المقبوض عليهم ينتمي الى حزب الله. وحزب الله لا يريد سوءا بمصر، لا يصدق عاقل واحد ان حزب الله لديه مخططات ضد أمن مصر، وإنما الحزب كان يريد مساعدة المقاومة وهذا أمر مشروع قوميا وقد مارسته مصر عندما دعمت الجزائر واليمن وأمدت الثوار في كل مكان بالسلاح والرجال. لكن المشكلة أن بعض العرب لم ينتبهوا إلى أن السياسة الجديدة في مصر صارت تقبض على من يدعم المقاومة وتتهمه بالإرهاب، هذا هو تأثير الارتباط العضوي بين النظام والولايات المتحدة، وما يحث هو إحدى ثمار كامب ديفيد، اقصد أن الجدار هو ثمرة من ثمار معاهدة الصلح مع العدو الصهيوني.. والجدار في اعتقادي ليس له علاقة بالأمن القومي المصري وإلا كان بناه كل الحكام الذين تقلبوا على حكم مصر من محمد علي الى جمال عبد الناصر، لم يفكر حاكم مصري واحد في بناء جدار يفصلنا عن الشعب الفلسطيني لأن أمن مصر موجود في فلسطين ،هذه قاعدة أمنية عريقة منذ صلاح الدين الأيوبي الى اليوم بل قبل صلاح الدين الأيوبي.

× وكيف تفسر هذه الحماسة في بناء الجدار بينما الانتهاكات الصهيونية لحدود مصر مستمرة ومتصاعدة وقد قتلوا أكثر من عشرين جنديا مصريا ولم يدفعوا مليما واحدا كتعويضات؟

-نعم هناك نوع من العنترية والغيرة على السيادة المصرية من جهة حماس وعندما قتل جندي مصري وأشاعوا ان قناصا من حماس قتله انقلبت الدنيا واشتغلت الماكينة الإعلامية في حملة لتشويه حماس، ووصلت الى حد التهديد بإجراء عسكري ضد حماس، وكان ذلك نوعا من التهور، خاصة إذا قارنا هذه العنترية بذلك الصمت المريب إزاء الاعتداءات، التي يمارسها الكيان الصهيوني على تلك السيادة أسبوعيا على الحدود مع غزة بدعوى تدمير الأنفاق،فالطائرات الصهيونية تخترق الأجواء المصرية لضرب الأنفاق، وهناك أكثر من استجواب في البرلمان حول هذه القضية، أنني افهم ان تكون الغيرة على سيادة مصر تجاه العدو الصهيوني الغاصب وليس شعبنا المحاصر في غزة، ان الله سوف يسأل حكامنا يوم القيامة ماذا فعلوا لرفع الظلم والحصار والجوع والمرض عن الشعب الفلسطيني .

× تتحدث عن يوم الحساب بينما شيوخ الأزهر يسوغون بناء الجدار ويصدرون بيانا حضرتك شككت فيه خلال مقال لك في صحيفة، الشروق،؟

-لقد كتبت كلمتي في هذا الموضوع وهو انه تم استدراج شيوخ كبار وعلماء أفاضل للتوقيع على بيان لم يناقشوه، بل لم يطلعوا عليه بشأن الجدار،وقد فوجئوا بشيخ الأزهر يستخرج ورقة، وقرأ منها البيان الخاص بتأييد إقامة الجدار وتأثيم معارضيه، وكانت تلك محاولة من النظام لتغطية موقفه بعدما تعرّض لحملة استياء وغضب عمّت الشارع العربي والإسلامي، ثم الرد على إعلان الدكتور يوسف القرضاوي (رئيس «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين») حرمة إقامة الجدار الذي يُحكم الحصار حول الفلسطينيين في غزة. والواقع ان الشعب المصري ونخبته المثقفة رفضت بناء الجدار لذلك هو جدار غير شرعي، وليس له أي مصداقية، وبدلا من بناء الجدار فلتفتح الحكومة معبر رفح وقتها سوف تنتهي تلقائيا كل الأنفاق التي ترفع أسعار السلع على الفلسطينيين الغالبة عشرات الأضعاف، يجب الا ننسى بأن من يجاورنا هم عرب مسلمون ودولتهم محتلة فيجب علينا مساندهم بالأكل والشرب والدواء وليس حصارهم، ولا يجب علينا أن نزيد المسافات بين العرب، فالشارع العربي كله يعرف أن هذا الجدار هدفه الأول هو أحكام حصار غزة على نحو عام وحركة حماس بشكل خاص والكلام الذي يقال عن حماية الأمن المصري، لا أساس له من الصحة، فأمن مصر يأتي من إقامة الدولة الفلسطينية لا من إقامة جدار عازل عن فلسطين، أما ما يجري حاليا فهو يؤكد ان مصر متمثلة في الحكومة فقدت البوصلة فأصبحت تهتم بإرضاء أميركا والكيان الصهيوني بأي شكل، وكان آخر ما وقعت فيه الحكومة هو منع قافلة شريان الحياة التي ستذهب لغزة، و مصر تورطت في الصراع بين سلطة محمود عباس «أبو مازن» وحماس وهي مؤيدة لعباس، واستمرار بناء هذا الجدار يرجع إلى تورط مصر في محور إقليمي يسمى بمحور الاعتدال وهو ضد المقاومة على طول الخط.

× وكيف تم توظيف الإعلام الحكومي في الترويج للجدار ؟

-مشكلة الإعلام الحكومي وليس القومي هي انه صار يتبنى شعار، من ليس مع الحكومة فالإعلام ضده ، وكأنه ينتمي للحزب الجمهوري في ظل فترة حكم غير المأسوف عليه جورج بوش، ومع تزايد حملة نقد المواقف المصرية إزاء الجدار والحصار، فإن الأبواق والمنابر الرسمية اختارت أن تصنف كل من تبنى رأيا مخالفا باعتباره عدوا ومثيرا للفتنة وشريكا في حملة الكراهية ضد مصر.

لكن إخواننا هؤلاء وهم يعممون الاتهامات على الناقدين ويوزعون الأوصاف الجارحة والمهينة عليهم، لا يستندون إلا الى قاموس الشتائم التي يطلقونها في الفضاء، فتفضح ما أصابهم من انفعال وتوتر.

أسوأ ما في الحملة التي تطلقها الأبواق الإعلامية أنها، وهي تبرر المواقف المصرية الأخيرة، أصرت على وصف فلسطينيي القطاع بأنهم أعداء خطرون ومخربون، يهددون أمن مصر ويسعون إلى إشاعة الفوضى والإرهاب على أراضيها. وهذه الفكرة حاولت بعض الصحف الترويج لها من خلال سرد قائمة من المعلومات التي تحدثت عن تهريب أسلحة ومتفجرات وأحزمة ناسفة، ومخططات لضرب السياحة في سيناء والقيام بعمليات التخريب في بعض المدن، وكلها أمور ليس للفلسطينيين علاقة بها، بل هي أمور مصرية داخلية.

Digitized by Birzeit University Library

التوتر الصيني الأميركي... صاعد حاذق وهابط مرتبك!

عبد اللطيف مهنا

أبسط ما يمكن قوله في الأزمة التي مرت بها العلاقات الصينية الأميركية، مؤخراً، بسبب من إعلان الولايات المتحدة عزمها على تزويد تايوان بالجزء الثاني والأخير من صفقة الأسلحة المتطورة الأكثر تعقيداً، والتي كان قد سُلّم الجزء الأول منها إبان الحقبة البوشية عام ٢٠٠٨، والتي قيمتها ثلاثة عشر مليار دولار، بأنها أزمة حتى لو عبرت، فإن فيها من الدلالات ما يوشر على الكثير الكثير، بحيث إنه لا يمكن المرور مرور الكرام إزاء كنه ردة الفعل الصينية الغاضبة والمستفزة، التي صيغت ولأول مرة بعبارات كانت غير مسبوقة القسوة بالنسبة لقاموس الدبلوماسية الصينية المرنة أو الوادعة التي اعتادها العالم سابقاً.

الصفقة، أو هذا الجزء الأخير منها، كان مواصلة الإدارة الأميركية الراهنة لالتزام سابق من قبل الإدارة الأميركية السالفة، أو هو انجاز لاحق لما تبقى منه، كما أشرنا آنفاً، ثم إنها تنسجم كلياً مع لميد الاستراتيجية الأميركية المعتمدة والمعروفة شرقي آسيا، والتي يبدو أن الإدارة الحالية قد قررت أن تركز عليها أكثر من ذي قبل. وقد يكون في مليارتها العائدة على بائعها بعض من قرش أبيض ينفع في أيام أزمة الاقتصاد الأميركي الراهنة السود... إذن ما سر ردة الفعل الصينية غير المعتادة هذه؟!

أولاً، وقبل الإجابة، لا بد من الإشارة إلى أن الصفقة قد اشتملت على طائرات بلاكهوك، أنظمة صواريخ باتريوت، صواريخ هاربون تيلمتري، سفينتي نزع ألغام متطورتين، وهي بالمجمل أسلحة دفاعية. ومع أن مسألة تايوان بالنسبة للصين، التي تعتبرها جزءاً لايتجزأ من ترابها الوطني سلخ منه وتسعى لاستعادته، هي في حكم الشأن الداخلي، الأمر الذي يعني أن الصفقة قد مست مصلحة وطنية صينية، وفيها خروج على ما يشبه الالتزام الأميركي السابق بعدم تزويد تايوان بأسلحة متطورة، بل لدرجة اعتبار الصين لها بأنها "إهانة" لا ينبغي السكوت عليها، فإنه يمكن القول، وبالنظر إلى سالف السياسات الأميركية المتبعة حيال الصين، أنه ليس فيها من مفاجئ أو جديد قد طرأ على تلك السياسات قد يستدعي، لأول وهلة، مثل هذا الخروج الصيني عن طور معتاد دبلوماسية هادئة، اتسمت بالمرونة، والوداعة، والبراغماتية، ووصول الأمر إلى اتهام الولايات المتحدة بالنفاق والإزدواجية في التعامل، والتهديد بكيل الصاع صاعين رداً على مثل هذه الفعلة الأميركية، التي سوف يكون لها "نتائج وخيمة"، إلى آخر ما سمعه الأمريكان والعالم من الصينيين على أثرها. أما عملياً، فقد ألغت الصين برامج تعاون عسكرية مشتركة كانت بين الطرفين، وأجلّت أو ألغت زيارات لكبار من المؤسسة العسكرية الأميركية، ومن بينهم رويرت غيتس وزير الدفاع نفسه، وهدد الصينيون بمعاقبة الشركات الأميركية التي ساهمت من بعيد أو قريب في إنجاز الصفقة التايوانية، بل إن بكين قد هددت، ولأول مرة، باللجوء لأمر كان لا ينسجم مع أسلوبها المعتاد في علاقاتها الدولية وترفضه وهو العقوبات، والتي ترى اليوم أن مستفزيها يستحقونها... هل في هذا ما يتفق مع كون الولايات المتحدة أكبر سوق للبضائع الصينية، وأن الصين تظل في حاجة لهذا السوق للاستمرار في بناء معجزتها الاقتصادية؟

لعل في هذا السؤال ما يوصلنا للإجابة المطلوبة على السؤال الذي طرحناه آنفاً، والتي يمكن اختصارها بالتالي:

لقد صبر التنين الأصفر عقوداً، وعمل بحكمة ودهاء ودأب، وهادن، وتحمل الكثير من العربدة الأميركية، وأشاح الوجه أو حايد ازاء الكثير من القضايا الدولية، حتى تمكن من إرساء دعائم معجزته الاقتصادية التي نقلته إلى مصاف صاحب الاقتصاد الثاني في العالم، والسائر، كما يتوقع الغرب نفسه، إلى مصاف الأول. وإذ بلغ مثل هذه النقطة، فقد آن الأوان لترجمة قوته الاقتصادية إلى سياسية، بحيث يأخذ هذا العملاق مكانته اللائقة به المتناسبة مع مستجدة في قمرة قيادة العالم

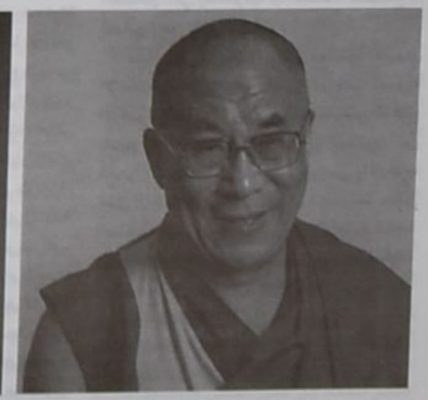

ومحافل صناعة قراره، أو توجيه السياسات الدولية بما يتناسب مع مصالحه كما يفعل الكبار. آن الأوان لممارسة نفوذ كوني يرتكز على مصداقية في السياسة الخارجية تعزز مكانة هي مستحقة بامتياز. بدا ذلك واضحاً، أو كانت ارهاصات بدايته، في مؤتمر كوبنهاغن، عندما مارست بكين دور الناطق الذي يتحدث نيابة عن مستضعفي العالم كافة، أو الذائد عن تظلمات فقرائه، وكان جارياً في عرقلتها لمحاولة الولايات المتحدة مواصلة استخداماتها المعهودة لمجلس الأمن لانتزاع القرارات الأممية التي تخدم بلطجتها الكونية. وأخرها ما يتعلق بملف البرنامج النووي الإيراني، أو على الأقل ممارسة الصين لنوع من التباطؤ في التعاون مع الولايات المتحدة الساعية لحياكة التسويات الدولية وفق مصالحها، أو رفع ثمن دخولها في صفقات قد تعرضها واشنطن عليها.

الصينيون يدركون أن الإمبراطورية الأميركية المائلة شمسها باتجاه بداية الأفول، هي اليوم في أمسّ الحاجة للصين في عناوين كبيرة، أو عون هؤلاء الذين يملكون حيال هذه العناوين أوراقهم القوية، والذين يجيدون لعبها بحنكة وشطارة، فهي، أولاً، وكما هي الولايات المتحدة، أكبر سوق للبضائع الصينية، فالأمر نفسه ينطبق عليها بوصفها أكبر سوق للمنتج والاستثمار الأميركي. وثانياً، هي أكبر دائن للولايات المتحدة، أو أكبر مشتر لسندات الخزينة الأمريكية، أي ديونها. وثالثاً، الحاجة الأمريكية إليها في مسألة معالجتها للبرنامج النووي الإيراني، ومشاكلها مع كوريا الشمالية... ولا ننسى مسألة "غوغل"، أو محرك البحث على شبكة الانترنت، والحاجة الماسة للصين في مؤتمر نزع السلاح المزمع في الشهر الذي سيلي الشهر القادم، الساعية واشنطن من ورائه لإحكام طوقها، وفرض العقوبات الدولية المبتغاة على كل من إيران وكوريا الشمالية، والذي لمحت الصين بأنها قد لا تحضره!

إذن، الصين، التي تظهر ردة فعلها الغاضبة على مواقف الإمبراطورية التي تتراجع سطوتها، والتي في حاجة لمساعدتها وتستفزها في الوقت نفسه، قد بدأت تتخلى في الوقت المناسب عن سالف ديبلوماسيتها الوديعة... وإذا كان هذا هو حالها، فما هو بالمقابل حال مستفزها والطالب مساعدتها في آن؟!

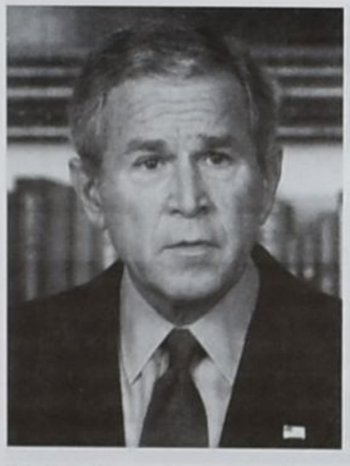

إنه إلى جانب طبيعة أحوال الإمبراطوريات التي تواجه ذات السيرورة التي اختطها التاريخ لسابقاتها، فإن الرجل الذي جاءت به المؤسسة الإمبراطورية لتجميل قبحها وتزيين سمات بلطجتها، وتخفيف وقع الكوارث التي خلفها سلفه ورطات متناسلة في الخارج ومصائب اقتصادية مرهقة في الداخل، والذي كانت قد نجحت، في البدء، فصاحته وحملة علاقاته العامة المتخمة بالوعود والبشائر خارجاً وداخلاً إلى حين في إيهام الأميركان والعالم ببدء مرحلة أميركية مختلفة، قد أصبح ينطبق عليه، بعد عام واحد من قدومه إلى البيت الأبيض، المثل العربي القائل: الصيف ضيعت اللبن!

بادئ ذي بدء، تراجع عن كافة وعوده، وما صورتها بلاغته بأنها مبادئه، عندما بدأ مقايضة مشاكله الداخلية بارتكاب ذات الحماقات الخارجية التي كانت من ديدن سلفه بوش، فلم يكسب بالتالي لا خارجاً ولا داخلاً، بل بدأت خسارته فتراجعت صورته في الخارج وتدنت شعبيته في الداخل... خسر مصداقية أراد الخارج والداخل واهماً خلعها عليه فخيّب أمل الاثنين معاً... ظل القبح ملازماً صاحبه وزادت البلطجة عتواً، وتعمقت الورطات واتسعت ساحاتها.

مشكلة أوباما أنه لم يكن أكثر من قناع وضعته أميركا على وجهها لتغير ملامحها البشعة لا جوهرها. وعندما أوحى بأنه قد يعكس ما يخالف هذا الجوهر، تكالبت عليه قبائل المؤسسة، جماعات المحافظين الجدد، كارتيلات السلاح، صقور البنتاغون، جوارح الكونغرس، اللوبي الصهيوني، مافيات المرتزقة أو شركات الأمن الخاص، فجنح إلى سياسة الاسترضاء، ومن ثم، لم يجد الصينيون أمامهم، وهم الدين وعدهم بتحسين العلاقات معهم، إلا من هو أسوء بالنسبة لهم ولسواهم من سلفه. لم يكتف بالصفقة التايوانية، بل أعلن أنه سوف يستقبل الدلاي لاما، وهددها بفرض عقوبات تجارية عليها إذا لم تشرّع أبوابها أمام المنتجات الأميركية، واستمرت في رفع قيمة عملتها مقابل الدولار... بوش كان أقل سوءاً بالنسبة لهم... وأخيراً، هذا التوتر، أو هذه الأزمة الأميركية الصينية، إلى أين؟

قد يكون من مصلحة الطرفين العمل على تجاوزها، أو تهدئتها على الأقل، والأغلب أن الحنكة الصينية والحاجة الأميركية سوف تساعدان على هذا، لكن، ومهما كانت النهايات تهدئةً أو تصعيداً، فهي قد أشرت بلا لبس على حقيقة لعلها الأهم:

كانت توتراً موضوعياً يحدث بين صاعد وهابط... امبراطورية كونية بدأت تنحدر، ومن ثم، عالم يبدأ في التشكل من جديد الأمر الذي يتطلب موضوعياً تشكيل توازنات وقوى دولية جديدة... قوى ناهضة تصعد وأخرى هابطة تتراجع ويبهت حضورها... صاعد ماهر يبرع في أداء حاذق متميز أو هابط أرعن مرتبك يتخبط وتتراكم حماقاته وتتعمق ورطاته... وإلا ماهو سر مثل هذه الغضبة الصينية ذات اللهجة التصعيدية غير المسبوقة؟!؟!

Digitized by Birzeit University Library

سلطة أوسلو وعصابة رام الله:
انحراف وفساد ... تفريط وعمالة

مأمون كيوان

أثار بثّ القناة التلفزيونية العاشرة في الكيان الصهيوني الثلاثاء ٢٠١٠/٢/٩ برنامج «همكور» (المصدر)، تقريراً تحت عنوان «فتح غيت» حول قضايا الفساد في السلطة الفلسطينية التي كانت بدايات تأسيسها عام ١٩٩٤، بلغ حجمها سرقة مئات الملايين من الدولارات التي حصلت عليها السلطات من التبرعات الدولية. وذلك استنادا إلى وثائق مكتوبة ومرئية مصدرها المسؤول السابق في المخابرات الفلسطينية فهمي شبانة، الذي لم يكتف بالكشف عن فضيحة جنسية لرفيق الحسيني مدير مكتب محمود عباس رئيس السلطة، بل اتهم مسؤولين فلسطينيين بتسهيل بيع عقارات في مدينة القدس المحتلة لصالح إسرائيليين. وقال شبانة، خلال مؤتمر صحافي في القدس، إنّ احد مستشاري عباس حاول منعه من حماية "عقار العارف"، الذي تملكه منظمة التحرير الفلسطينية، ويقع بالقرب من المسجد الأقصى، في منطقة المصرارة، والذي بات اليوم بحيازة الكنيسة العالمية التي تديرها دوائر صهيونية". و وفقا لشبانة يدعى ضابط الأمن الفلسطيني م. د ، شرع في بيع عقار قرب باب حطة بمحاذاة المسجد الأقصى لمستوطنين، وأن مالكي هذا العقار الموجودين في الأردن كلفوا الضابط ببيعه، غير أنّ الأخير أخذ يبحث عن مشتر يهودي لزيادة عمولته(١).

وكانت مصادر إعلامية صهيونية قد تحدثت عن أن رئيس سلطة رام الله محمود عباس كان قد طالب بعدم عرض التقرير الذي بثه برنامج "المصدر"، مهدداً في خطاب شديد اللهجة وجّهه إلى رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، بأنه سيستقيل من منصبه إذا ما تم نشر التقرير، كما ورد(٢).

الفاضح والمفضوح

فهمي شبانة ضابط صغير سابق في جهاز المخابرات الفلسطينية تمت إقالته منذ أكثر من عامين من موقعه، بعدما افتضح تورطه في التعامل مع الجانب "الإسرائيلي"، وبعدما قام بتجاوزات ومخالفات عديدة تخل بالأمانة والشرف. لكن تفيد المعلومات أن شبانة قبض راتبه، وفق ما كتبه هو، لشهر كانون ثاني/ ٢٠١٠. فلماذا تستمر السلطة الفلسطينية بصرف راتبه إذا كان عميلاً؟(٣)

أما رفيق الحسيني فهو من مواليد القدس ١٩٥٢ متزوج من أجنبية تعيش في بريطانيا حاصل على جواز سفر بريطاني دبلوماسي من غير المعروف كيف حصل عليه حيث لم يعمل في السلك الدبلوماسي، عمل مع المخابرات البريطانية الداخلية، كانت دراسته وعمله يتمحور حتى السنوات الأخيرة في مجال العمل المخبري والطبي، ولم يكن له أي نشاط أو أدنى خبرة في العمل السياسي استقدمه محمود عباس عام ٢٠٠٥ ليعمل رئيساً لديوان الرئاسة ليس لكفاءته وانما لأنه من عائلة الحسيني، أو لأسباب خارجية مجهولة.

كما أن رفيق الحسيني هو واحد من مشروع الشبكة الفلسطينية المشبوه ، الذي يقوده رمزي الخوري ومعه غسان الخطيب وآخرون. وهذا المشروع يهدف الى القضاء على ما تبقى من منظمة التحرير الفلسطينية وتحويل اللاجئين الفلسطينيين الى مغتربين ومهاجرين، بغية إلغاء حق العودة، وحصر قضية فلسطين في جزء من شعبها في الضفة والقطاع(٤).

ظاهرة الفساد

لمعالجة ظاهرة الفساد المستشرية في السلطة الفلسطينية لابد من الإشارة إلى أن الفساد فسادان أحدهما صغير، وهو ما يلحق الموظفين العاديين وبعض صغار المديرين. وفسادهم، في العادة، لا يتجاوز حدود الحاجة ومواجهة صعوبة الأوضاع المعيشية من وجهة نظرهم، وهذا هو الخطر الداهم الذي يدمر القيم، كما قلنا. ويصبح الفساد مبرراً، والفاسد شخص لا شبهة عليه. علماً بأن من واجب الدولة أن تحمي هؤلاء من الانزلاق نحو الفساد.

أما الفساد الكبير، فيلحق بالمسؤولين الكبار ورجال الجيش والوزراء وربما رؤساء الحكومات والدول الذين يتحكمون بالثروة القومية ويبددونها كونهم أصحاب حكم، وذلك بدءاً من الرشى إلى التهرب الجنائي إلى الاختلاس وتحويل الأموال وتزوير العطاءات والتجاوز الجمركي وتزوير المساعدات الدولية والصفقات العمومية ومنح رخص الاستغلال والاستثمار في القطاع العام والإنفاق على شراء الأسلحة والمناصب المرموقة في إدارة

الشركات(٥).

والفساد السياسي بمعناه الأوسع هو إساءة استخدام السلطة العامة (الحكومية) لأهداف غير مشروعة وعادة ما تكون سرية لتحقيق مكاسب شخصية. كل أنواع الأنظمة السياسية معرضة للفساد السياسي التي تتنوع أشكاله إلا أن أكثرها شيوعاً هي المحسوبية والرشوة والابتزاز وممارسة النفوذ والاحتيال ومحاباة الأقارب. وبرغم أن الفساد السياسي يسهل النشاطات الإجرامية من قبيل الاتجار بالمخدرات وغسيل الأموال والدعارة إلا أنه لا يقتصر على هذه النشاطات ولا يدعم أو يحمي بالضرورة الجرائم الأخرى.

و يمثل الفساد تحدياً خطيراً في وجه التنمية. فهو على الصعيد السياسي يقوض الديمقراطية والحكومة الجيدة بتعويم أو حتى تغيير مسار العملية الرسمية. ومن أبرز أنواع الفساد: الرشوة و الابتزاز.

ويعتبر قياس الفساد بلغة الإحصاءات ليس أمراً سهلاً طالما أن المشتركين فيه ليسوا متعاونين في هذا الصدد. وتقدم المنظمة العالمية للشفافية وهي منظمة رائدة في مجال محاربة الفساد ثلاثة معايير تقوم بتحديثها سنوياً لقياس الفساد وهي: مؤشر إدراك الفساد (القائم على آراء الخبراء حول أحوال البلدان الفاسدة)، والباروميتر العالمي للفساد (القائم على استطلاعات مواقف الرأي العام وخبرتهم مع الفساد، واستطلاع دافعي الرشى الذي يبحث في استعداد الشركات الأجنبية لدفع الرشى. كما تقوم المنظمة العالمية للشفافية بنشر تقرير دولي حول الفساد كما يقوم البنك الدولي كذلك بجمع معلومات مختلفة حول الفساد(٦).

ومن أبرز مؤشرات الفساد مؤشر ضبط الفساد، وهو مؤشر ذاتي على إدارة الحكم تم تجميع عناصره من مصادر مختلفة يقيس الإدراكات الحسية للمفاهيم التالية: الفساد بين المسؤولين الحكوميين، الفساد بوصفه عقبة في وجه الأعمال التجارية، مدى تواتر تقديم "أموال غير قانونية" إلى الرسميين والقضاة، ومدى إدراك وجود الفساد في سلك الخدمة المدنية. تتراوح التقديرات ما بين -٢,٥ و ٢,٥ والقيم العليا هي الأفضل ووفق هذا المؤشر حصلت السلطة على تقدير سلبي هو -٠,٧٧(٧).

ويتمثل الفساد المالي بمجمل الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام المالية التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في الدولة ومؤسساتها ومخالفة التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة المالية كالجهاز المركزي للرقابة المالية المختص بفحص ومراقبة حسابات وأموال الحكومة والهيئات والمؤسسات العامة والشركات، ويمكن ملاحظة مظاهر الفساد المالي في: الرشى والاختلاس والتهرب الضريبي وتخصيص الأراضي والمحاباة والمحسوبية.

ويتعلق الفساد الإداري بمظاهر الفساد والانحرافات الإدارية والوظيفية أو التنظيمية وتلك المخالفات التي تصدر عن الموظف العام إثناء تأديته لمهام وظيفته في منظومة التشريعات والقوانين والضوابط ومنظومة القيم الفردية التي لا ترقى للإصلاح وسد الفراغ لتطوير التشريعات والقوانين التي تغتنم الفرصة للاستفادة من الثغرات بدل الضغط على صناع القرار والمشرعين لمراجعتها وتحديثها باستمرار(٨).

حجم الدعم الخارجي للسلطة

بعد التوقيع على اتفاق إعلان المبادئ بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، في ١٣ أيلول ١٩٩٣ وإعلان قيام السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، اتفقت الدول الراعية لعملية السلام في الشرق الأوسط وما عرف بالدول المانحة على تقديم المساعدات الدولية للشعب الفلسطيني. ويذكر الدكتور سلام فياض وزير المالية في حكومة قريع ٢٠٠٥ أن مجموع ما حصلت عليه السلطة الفلسطينية من مساعدات الدول المانحة منذ عام ١٩٩٤ وصل إلى ٧ مليارات دولار، بالإضافة إلى المساعدات المقدمة من المؤسسات الدولية الراعية للاجئين الفلسطينيين والتي وصلت إلى نحو ملياري دولار(٩).

وقُدرت العائدات من الاحتكارات في السلطة الفلسطينية في العام ٢٠٠٠ بـ ٣٠٠ مليون دولار سنوياً(١٠). والضرر الذي يلحق بالاقتصاد الفلسطيني الناتج عن ذلك يتجاوز بكثير الخسائر في العائدات، لأنه يمنع المنافسة ويتسبب في ارتفاع الأسعار التي يتم تقاضيها من منتجات قليلة. وإذا اقترن ذلك بحقيقة أن الاحتكارات تطال البضائع الأساسية مثل القمح، والإسمنت، والنفط، والخشب، والسجائر، والسيارات. ونموذجاً عن مدى خسارة الاقتصاد الفلسطيني من جرّاء الاحتكار الذي مارسته السلطة الوطنية الفلسطينية في بعض السلع الأساسية، عبر هيئات وشركات حكومية. ففي مجال النفط فقط، بلغت العائدات الضريبية من المحروقات بعد شهر واحد من سيطرة وزارة المالية الفلسطينية على هذا القطاع، ٦٧ مليون شاقل (نحو ١٤,٨ مليون دولار) خلال شهر يوليو ٢٠٠٣ مقارنة بـ ٣٧ مليون شاقل (نحو ٨,٢ مليون دولار) خلال شهر مايو من العام نفسه(١١).

وشكلت شركة الخدمات التجارية الفلسطينية الذراع الاقتصادية للسلطة الفلسطينية. لكنها وبالرغم من ذلك لم تخضع لإشراف المجلس التشريعي أو وزارة المالية. أدار محمد رشيد، المستشار الاقتصادي لعرفات آنذاك، هذه الشركة، وقد تحكمت الشركة بغالبية النشاطات الاقتصادية في أراضي السلطة الفلسطينية. فالشركة تملك

Digitized by Birzeit University Library

"حصصاً كبيرة... في شركة تعبئة المياه الغازية كوكا كولا في رام الله... وعدداً كبيراً من الاستثمارات في قطاعات أخرى، إضافة إلى ملكيتها الكاملة لمصنع الإسمنت الذي طالما تمتع باحتكار تحميه السلطة. وظلت شركة الخدمات التجارية الفلسطينية تملك أكبر حصة في كازينو أريحا، وهي تقدّر بـ ٦٠ مليون دولار. كما أنها تملك حصة مقدارها ٨٪ في شركة الاتصالات الفلسطينية، ولديها أيضاً استثمارات في شركة التنمية والاستثمارات الفلسطينية(١٢).

اكتشاف المكتشف

قضايا الفساد في السلطة الفلسطينية معروفة ومتداولة في الأوساط الفلسطينية منذ وقت طويل. و يمكن تحديد رزمة أسباب في مقدمها؛ طبيعة وآليات عمل السلطة وفق نظام قائم على الشللية والتعصب التنظيمي، والولاء لرئيس السلطة، وليس بناء على الكفاية. فمنذ اللحظة الأولى لولادتها، سعت السلطة الفلسطينية إلى نقل صنع القرار السياسي من دوائر منظمة التحرير إلى دوائر ووزارات السلطة الفلسطينية، كما نقلت معها جميع شوائب المنظمة من فساد إداري ومالي. وفور قيامها اعتمدت السلطة ممثلة برموزها من كوادر منظمة التحرير الفلسطينية إلى فرض سلطتها على جميع نواحي الحياة الاقتصادية والمالية يساندها في ذلك مجموعات مسلحة انضوت تحت مسميات أجهزة أمنية عديدة تابعة للسلطة. وبرزت عودة كوادر وقيادات منظمة التحرير، التي أخذت على عاتقها بناء السلطة وإدارتها، وبناء المؤسسات. وسرعان ما تحولت هذه السلطة إلى مراكز قوى تتناحر فيما بينها، وتطغى عليها المصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية، في ظل غياب أجهزة الرقابة وتهميش القضاء، برز الفساد في مؤسسات وإدارات السلطة. وبرزت المحسوبية والشللية واحتكار المؤسسات الاقتصادية.

شراء الذمم

لعل من أبرز مظاهر الفساد عدم ربط سياسة الإنفاق في السلطة بمرجعيات قانونية وإدارية ضابطة. ولإيضاح ذلك يمكن فقط الإشارة للموازنة الخاصة التي كان يتصرف بها ياسر عرفات منذ العام ١٩٩٤، والتي كانت تقدر سنويا بـ٧٤ مليون دولار توزع حسب رغبته وعلى من يشاء من الهيئات والأشخاص. وهذه المعطيات وردت في تقرير لصندوق النقد الدولي صدر بتاريخ ١٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٣ بناء على تقارير المجلس التشريعي ووزارة المالية الفلسطينية. وكان لا يتم إحاطة وزارة المالية الفلسطينية التي يفترض أن تشرف على كل صغيرة وكبيرة من مداخيل السلطة وأوجه صرفها، بأوجه صرف هذا المبلغ الذي يشكل وحده ثمن مداخيل السلطة. وغني عن القول أن هذا المبلغ كان يستخدم من قبل الرئيس الراحل في شراء ولاء هيئات وشخصيات لضمان بقاء تأييدهم له وعدم خروجهم على قيادته. وحسب التقرير نفسه فإنه بالإضافة الى ذلك، فإنه منذ العام ١٩٩٥ وحتى العام ٢٠٠٠ تم نقل مبلغ ٩٠٠ مليون دولار إلى « جهة غير معلومة»، دون أن يتم إحاطة وزارة المالية بأوجه صرف هذا المبلغ.

كما لم تقم الشركات التي تدير المشاريع الاستثمارية التابعة للسلطة الفلسطينية مثل شركة « البحر» التي كان يديرها مستشار عرفات الاقتصادي خالد سلام، وهيئتي البترول والتبغ بتحويل أرباحها إلى خزانة السلطة الفلسطينية ولم تضعها تحت إشراف وزارة المالية، حيث تم إيداع هذه الأرباح في بنوك أوروبية، وحتى في بنوك إسرائيلية كما كشفت عن ذلك مرات عديدة وسائل الإعلام الإسرائيلية. ومنذ العام ١٩٩٥ وحتى العام ٢٠٠٣ لم تشرف وزارة المالية الفلسطينية على عوائد الجمارك التي تجبيها «إسرائيل» لصالح السلطة عن البضائع التي تستورد من قبل تجار فلسطينيين عبر الموانئ والمطارات «الإسرائيلية». وتقدر قيمة هذه العوائد بـ٦٠ مليون دولار شهرياً. في الوقت نفسه لم يتم تحويل عوائد الاستثمارات التي تملكها السلطة في الخارج، والتي لا يعرف أحد حتى الآن أي معلومات حول حجمها وقيمتها المالية للموازنة العامة للسلطة، وظلت رهن تصرف الدائرة الضيقة المحيطة بالرئيس عرفات، سيما مستشاره خالد سلام(١٣).

مديرون عامون

كشفت مصادر في ديوان الموظفين العام التابع للسلطة الفلسطينية عن وجود ٧٨٨ وظيفة بمنصب مدير عام في السلطة؛ وقالت تلك المصادر: إن تحليلا إحصائيا لدرجة المدير العام في السلطة الفلسطينية يوضح جزءا من الخلل الإداري، والحاجة إلى الإصلاح العاجل في المؤسسات الحكومة والوزارات. وأشارت تلك المصادر إلى أن ٩٦ مديراً عاماً في السلطة لا يحملون أي مؤهل علمي ونسبتهم (١٢,١٨بالمائة)، و٣٩ مديراً عاماً يحملون الثانوية العام فاقل ونسبتهم (٤,٩٥بالمائة)، و٣٣ مديراً عاماً يحملون درجة الدبلوم المتوسط ونسبة (٤,١٦٨بالمائة). وأن ٦٢٠ مديراً عاماً يحملون شهادة البكالوريوس فاكثر ونسبتهم (٧٨,٦٨بالمائة).

وأفادت المصادر أن عدد المديرين العامين في الضفة الغربية بلغ ٤٦٠ مديراً عاماً بينهم ٢٠ يحملون الثانوية العامة و٤ يحملون الثانوية العامة مع ٣ سنوات دراسة و ١ يحمل الثانوية العامة و ٦ شهور دراسة و٦ يحملون شهادة ثانوية و٢ يحملون درجة الدبلوم مع الامتحان الشامل و١ يحمل الدبلوم مع دراسة ٣ سنوات و٢ يحملون الدبلوم مع دراسة سنة

و١٢ يحملون الدبلوم مع دراسة سنتين و١٠ لا يحملون أي مؤهل علمي، ويبلغ مجموع من يحملون مؤهلاً علمياً أقل من بكالوريوس ٩٦ بنسبة ٢٩,٢٧بالمائة من العدد الكلي للمديرين العامين بالضفة ٤٦٠ مدير عام ونسبتهم من إجمالي المديرين العامين في السلطة ٥٨,٣٧بالمائة.

وكان عدد المديرين العامين في قطاع غزة بلغ ٣٢٨ مديراً عاماً بينهم ١ يحمل شهادة الإعدادي و١١ يحملون الثانوية العامة و ٣٤ مؤهلهم العلمي غير موجود، و١ دبلوم سنة و ١٠ دبلوم سنتين، ١ حاصل على دورة و ١٤ بدون شيء، و ١٤ لا يحملون أي مؤهل علمي، ويبلغ مجموع من يحملون مؤهلاً علمياً أقل من بكالوريوس ٧٢ بنسبة ٢١,٩٥بالمائة من العدد الكلي للمديرين العامين بالضفة ٣٢٨ مديراً عاماً ونسبتهم من إجمالي المديرين العامين في السلطة ٤١,٦٣بالمائة.

يشار هنا أن درجة المدير العام يتلقى راتبا قدره ٦٥٠٠ شاقل (نحو ١٥٠٠ دولار) راتب أساسي ومع العلاوات والبدالات قد يصل إلى ٨٠٠٠ شاقل(١٤).

مسلسل فضائح

صدر في أيار/ مايو ١٩٩٧ تقرير لجنة المراقبة في المجلس التشريعي الفلسطيني مؤكداً أن الفساد المالي في أجهزة السلطة والسرقات قد طالت ٣٢٦ مليون دولار أمريكي. وقد صوت المجلس التشريعي بحجب الثقة عن حكومة عرفات(٥٦ صوتاً مقابل صوت واحد) بسبب ذلك.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر١٩٩٩ وقع عشرون مفكراً وشخصية فلسطينية بارزة تحت حكم السلطة وثيقة " العشرين، التي اتهمت السلطة بالفساد والمحسوبية... وغير ذلك. وقد وصف هشام شرابي الوضع قائلاً: " إن السلطة الفلسطينية بتركيبها الحالي لا تمثل الشعب الفلسطيني...، إنها عاجزة عن إحداث أي تغيير في الوضع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، وهي نفسها أحد أسباب تفاقم وضعه المأساوي"(١٥).

حجم الفساد

كشف النائب العام احمد المغني وفي الخامس من شباط/ فبراير العام ٢٠٠٦ أن عدد ملفات الفساد المالي التي وصلت إلى النيابة العامة تزيد عن ٥٠ قضية»، وان أكثر من ٧٠٠ مليون دولار أهدرت في قضايا فساد خطير(١٦). ولكن لا نستطيع أن نُعد هذا المبلغ هو حجم الفساد الحقيقي، إذ إن النائب العام نفسه توقع أن يكون هناك المليارات من الدولارات قد اختلست. وشملت القضايا التي أعلن المغني التحقيق فيها، الاختلاس وإساءة الائتمان والنصب والاحتيال والتزوير في أوراق رسمية لأشخاص ذوي مكانة مرموقة.

فضيحة الاسمنت

لهذه الفضيحة من تداعيات ليس فقط على المستوى الاقتصادي، بل لما لها من اعتبارات وطنية وأخلاقية. من خلال إطلاعنا على نص وثيقة التحقيق التي قام بها المجلس التشريعي عبر لجانه المختصة (لجنة الموازنة والشؤون المالية، لجنة الرقابة وحقوق الإنسان، واللجنة القانونية)، بالإضافة إلى قيام لجنة مصغرة مكلفة من رئاسة المجلس التشريعي وفي النهاية وبعد حصول اللجنة على الوثائق تبين أن شركة LTD "الإسرائيلية" والتي يملكها زليف بلنسكي حاولت استيراد الاسمنت من شركة مصر بني سويف، ولكن بعد تدخل جهات أمنية ولجان مقاومة التطبيع في مصر تم وقف هذه الصفقة مما دفع بلنسكي إلى التحايل واستيراد الاسمنت عبر وسطاء وشركات فلسطينية. وهنا بدأت بعض الشركات الفلسطينية باستصدار اذونات استيراد للإسمنت المصري من وزارة الاقتصاد الوطني، وبلغ مجموع ما تم استصداره من هذه الأذونات ما يقارب ٤٢٠ ألف طن(١٧).

وتمثلت تداعيات هذه الصفقة «حرمان الاقتصاد الفلسطيني من ضرائب الاستيراد حيث تم تحويل ملكية الاسمنت إلى الشركة "الإسرائيلية" وبذلك تم تحصيل الضرائب الجمركة من قبل الجمارك "الإسرائيلية"، وتشويه سمعة الاقتصاد الفلسطيني بتعاونه مع شركات "إسرائيلية" وتعمل على فتح باب التطبيع الاقتصادي مع "إسرائيل". والأخطر من ذلك كله هو المساهمة في بناء الجدار الفاصل والمستوطنات، حيث تم استخدام هذا الاسمنت في بناء الجدار والاستيطان.

اختلاسات مالية بالجملة

أعلن مدير جهاز المخابرات الفلسطيني، توفيق الطيراوي، في السادس من نيسان ٢٠٠٥ عن اتهام أربعة مسؤولين بقضايا اختلاس ٧,١مليون دولار. ولكنه لم يتم القبض إلا على اثنين منهم، أما المسؤولون الآخرون فقد فرا إلى الأردن(١٨).

كما هرب مدير عام في وزارة التخطيط التي كان يترأسها نبيل شعث بملايين الدولارات(١٩).

وبتاريخ ٢٥ آب ٢٠٠٥ أي قبل الانسحاب الصهيوني من قطاع غزة وبعد تعالي الأصوات حول مصير أراضي المستوطنات في غزة بعد إخلائها من قبل المستوطنين كشف رئيس سلطة الأراضي الفلسطينية فريح أبو مدين في مؤتمر صحفي أن التعديات على ٨٠ في المئة من الأراضي الحكومية في القطاع هي من قبل مسؤولين ومنتسبين للأجهزة الأمنية الفلسطينية . ووصف المتعدين على الأراضي الحكومية بأنهم من "أثرياء السلطة"(٢٠).

فضيحة البترول

قامت النيابة العامة بإيداع لائحة تهام مفصلة بحق عدد من المتهمين بالاختلاس والتبديد والاستيلاء على أموال الهيئة العامة للبترول. وقد أنهت النيابة العامة تحقيقاتها التي اشرف عليها المستشار احمد المغني النائب العام بعد جهود مكثفة بذلتها طواقم

Digitized by Birzeit University Library

النيابة العامة المختصة وبالتنسيق الكامل مع المحاسبين المختصين لدى هيئة الرقابة العامة التي قامت بإعداد التقرير في وقت سابق. هذا وقد تضمنت لائحة الاتهام تهماً متعددة اشتملت على الاستيلاء على الأموال العامة بالاشتراك واختلاس أموال عامة، والتسهيل للغير للاستيلاء على الأموال العامة، حيث قدرت قيمة هذه الأموال (٤٧٦،٢٤٠،٦٣٣) شاقل و(١،٥٠٣،١١٧) دولار أميركي و (٣٥٧،٥٤٧) ديناراً أردنياً، وذلك خلال المدة الزمنية التي اشتمل عليها تقرير الرقابة العامة.

وقد تمت الإحالة للمحاكمة بعد استكمال جوانب التحقيق كافة التي تضمنت جوانب فنية ومحاسبية، حيث تم الاستعانة بمحاسبة هيئة الرقابة العامة تحقيقاً للعدالة، حيث أفرجت النيابة العامة عن اثنين من المتهمين لعدم ثبوت الدلائل بحقهما(٢١).

الاستيلاء على مطار غزة وطائراته

وكشفت مصادر فلسطينية مطلعة عن تفاصيل خطة الاستيلاء على شركة الطيران الفلسطينية وموجوداتها وطائراتها، بما في ذلك مطار غزة الدولي قد تم إنجازها على نحو كامل خلال الاجتماع الأول لمجلس إدارة شركة الطيران الفلسطينية في تشكيلته الجديدة الذي عقد في عاصمة عربية في الأسبوع الأخير من شهر يوليو تموز الماضي تحت ستار من السرية والتكتم الشديدين وبدون أن يصدر أي بيان عن ذلك الاجتماع ونتائجه في وسائل الإعلام أو الصحف المحلية والعربية والدولية.

و كان يرأس مجلس الإدارة الجديد وزير فلسطيني ويضم في عضويته مستشاراً اقتصادياً .. ورجال أعمال فلسطينيين في الخارج. وفيما غاب عن الاجتماع المذكور العميد فايز زيدان رئيس مجلس الإدارة السابق والمستقيل ..احتجاجا على خلفية الأحداث التي جرت في مديرية الطيران المدني قبل شهر من ذلك التاريخ عندما أوعز الوزير لجماعاته باحتلال المؤسسة والاستيلاء عليها بقوة القانون الجديد الذي وعلى صعيد آخر قيل إن الاجتماع الأخير لمجلس الإدارة قد أحال عطاء إعادة ترميم وإصلاح المطار خلال اجتماعه الأخير بمبلغ خمسة وعشرين مليون دولار تم رصدها على الفور ، وتكفل الشركاء بمهمة إعادة البناء البيروستريكي في حين أن تكاليف إنشاء المطار في حينه قد بلغت ثلاثين مليون دولار.

وكان مجلس الإدارة السابق قد قدم دراسات وتقديرات هندسية كاملة لإعادة الإعمار والترميم في المطار ومن خلال الشركات الوطنية المحلية بتكاليف لم تتجاوز عشرة ملايين دولار أو أقل. كما أن ملكية شركة الطيران بأجهزتها وتجهيزاتهاكافة بما في ذلك الطائرات والمطار وغيرها، قد انتقلت إلى المالكين أو الشركاء الجدد دون أي مقابل(٢٢).

وكشفت دراسة أعدها فايز السويطي أن ملفات الفساد في المؤسسات الفلسطينية بالآلاف، ولم تفتح فعلياً، حيث إن التعيينات العشوائية غير المدروسة، وغير المسؤولة في كثير من المؤسسات للمسؤولين الكبار (الفئات العليا) خاصة من حملة الشهادات الدنيا، ألحقت ضرراً فادحاً بالموظفين على نحو خاص وبالأداء العام والإنتاج على نحو عام، عدا عن اهتزاز سمعة السلطة الفلسطينية محلياً وإقليماً ودولياً.

وأشارت الدراسة التي جاءت تحت عنوان: "الفساد تكبة فلسطين الجديدة وسرطان العصر"، أن التقارير السرية ترفع حسب الأمزجة والأهواء الشخصية وغالباً ما تكون مغرضة وتلحق أفدح الأضرار بالموظفين، كما أن نظام المراسلات متخلف فقد ينتظر الموظف عدة أشهر وأحياناً عدة سنوات حتى يحصل على رد، وإن جاء الرد فقد يكون غير قانوني.

ويؤكد السويطي في دراسته على أن خطط الإصلاح ترقيعية وان وجدت لا تطبق والدراسات التقيمية توضع على الرف أو تختفي بدون حسيب أو رقيب.

وتقدر الدراسة أن معظم رواتب السلطة الفلسطينية تذهب إلى كبار الموظفين حيث تشير التقديرات إلى أن ١٠٪ من الموظفين يتلقون ٦٠٪ من إجمالي رواتب السلطة الفلسطينية. وبحسب الدراسة فقد يصبح الفساد ظاهرة يتقبلها المجتمع على نحو عام وقد تنتشر الرشوة بمثابة ظاهرة عادية إذا لم يتم التحرك جدياً لمحاربة الفساد(٢٣).

الفساد في وكالة «وفا»

وكالة «وفا» التي ابتعدت كثيراً عن دورها المفترض في تعزيز الوحدة الوطنية، وتكريس مبدأ الحوار في الساحة الفلسطينية، استشرى فيها الفساد المالي والإداري والأخلاقي، شأنها في ذلك، شأن الكثير من مؤسسات منظمة التحرير، التي باتت بحاجة ماسة لإعادة بناء على أسس ديمقراطية ومهنية ووطنية جديدة.

وقد وجهت مجموعة من الصحافيين والمصورين العاملين في وكالة الأنباء الفلسطينية «وفا»، رسالة إلى رئيس السلطة محمود عباس تشكو فيها عن مظاهر الفساد المستشري في هذه المؤسسة، وقالت: «لقد شبعنا قهراً ومللاً وتوجساً عما يدور من هدم لهذه المؤسسة التاريخية».

وفيما يتعلق بالمهنية في وكالة "وفا"، فتقول الرسالة: "نرى مؤسسات إعلامية صغيرة تنشأ وتتألق وتدوس على "وفا" وتمشي قدما ونحن نحافظ على الانحدار، حتى باتت "وفا" مصدرا لأخبار بروتوكولية"، مشيرة إلى أن مصادر الأخبار في "وفا" كالتالي: "تليفون من الأخ نبيل أبو ردينة،

(أخبار الرئيس)، أما خطابات مهمة فنسجلها من الجزيرة، نسرق أخبار من مواقع أخرى (نسخ ولصق) ونغيّر فيها شوي، عيب، أخبار من الإذاعات المحلية والتلفزيون، أخبار محلية تصل جاهزة على الإيميل (افتتاح دورة، اختتام دورة، أو ورشة عمل أو تنديد مش عارف شو، وبيانات من جمعيات تقوم بنشاطات هدفها دعائي بحت). وعندما يكون هناك خبر مهم، نقرأ في "وفا" خبر "قزم" وألف خبر عملاق (تنديد) – وعدوا أخبار عالصفحة".

وتتساءل الرسالة، "أين قصص الجدار، أين قصص الشهداء (وليس أعداد الشهداء)، أين اللقاءات مع المسؤولين؟، أين أنشطة الجاليات الفلسطينية في الشتات؟ (أليس هناك مكاتب -وهم- في الخارج)، أين أخبار المخيمات، أين عذاب الناس اليومي، لا يوجد، لماذا؟ لأن المهم في نظر رئيس التحرير (سعد الغراوي) هو عدد الأخبار وليس نوعية الأخبار"، وقال موظفو "وفا" موجهين كلامهم إلى رئيس السلطة، "أليس من حقنا أن نتساءل عن صمت سيادتكم تجاه "وفا" وقهر موظفيها برغم ما أرسلناه من رسائل قبل ذلك؟ وتجاه حفاظ "وفا" على الانحدار المهني؟ منذ ما يزيد عن العام، كم خبراً غطته "وفا" يتعلق بالجدار؟ كم تقريراً؟ كم قصة؟ (إذا استثنينا نشاطات حركة التضامن الدولية أيام الجمع في بلعين؟)"(٢٤).

وكانت مصادر في وزارة المالية الفلسطينية ، كشفت عن قيام حركة فتح بتمويل حملتها الانتخابية في الانتخابات التشريعية الأخيرة، التي جرت في الخامس والعشرين من يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٦، من موازنة السلطة الفلسطينية، الأمر الذي يمثل مؤشرا خطيرا في إهدار المال العام لصالح الحزب الذي كان حاكما حينها، وانتهاكاً صارخا للقانون الفلسطيني!!.

فقد كشفت وثيقة مرسلة بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢٩ لمرشح الانتخابات عن قائمة «فتح» في الانتخابات التشريعية أمين الهندي مدير المخابرات العامة سابقا، أن رقم الحساب الخاص بإيداع مبلغ الخمسة ملايين شاقل (١،٢٥ مليون دولار أميركي) هو باسم لجنة الانتخابات لحركة فتح، ورقمه ٥١٠-٩٠٥-١٠٠٩٠٥.

والذي قام بدوره الهندي بالتوقيع عليها موجها الخطاب لوزير المالية الفلسطيني آنذاك سلام فياض يذكره فيها بتحويل خمسة ملايين شاقل للجنة المتفق عليها، وضرورة الإيفاء بذلك.

فيما أظهرت وثيقة ثانية موجهة من عزيز أبو دقة مدير عام مكتب وزير المالية السابق فياض، إلى فريد غنام مدير عام الموازنة في وزارة المالية بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١٢ -جاء فيها «يرجى الإيعاز لمن يلزم لإعداد حوالة بمبلغ خمسة مليون شاقل باسم لجنة الانتخابات لحركة فتح، وذلك على رقم الحساب المرفق طيه لدى البنك العربي –فرع الرمال، وذلك بناء على تعليمات الوزير».

وتعكس هذه الوثائق كيفية تصرف الوزراء السابقين في عهد الحكومات السابقة التي سيطرت عليها حركة فتح، في أموال الشعب الفلسطيني وصرفها لصالح أحزاب بعينها، وليس في مسارها الصحيح ولعامة الشعب، وذلك يفرض فتح تحقيق جاد وعلني من قبل النائب العام الفلسطيني في الفساد المالي للحكومات السابقة(٢٥).

ويضاف إلى ما تم عرضه من فضائح فساد سلطة رام الله فضيحة شحنة القمح الفاسدة، و فضيحة تهريب الجوالات التي اتهم بها روحي فتوح الرئيس السابق للمجلس التشريعي وشغل منصب رئيس السلطة مؤقتا بعد رحيل ياسر عرفات، وبرأ ساحته لاحقا. وغير ذلك من قضايا الفساد التي تعتبر نتاجا طبيعيا وليست نبتا شيطانيا من تربة الانحراف السياسي ونهج التفريط بالقضية الوطنية.

المصادر:

١- صحيفة السفير اللبنانية ٢٠١٠/٢/٢٣ .
٢- المصدر السابق.
٣- عبد الستار قاسم، فهمي شبانة وبينات الفساد، www.safsaf.org
٤- المصدر السابق.
٥- عمر الحضرمي، www.ammonnews.net
٦- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة
٧- برنامج إدارة الحكم في الدول العربية http://www.pogar.org/
٨- ياسر خالد بركات الوائلي الفساد الإداري.. مفهومه ومظاهره وأسبابه، www.mcsr.net
٩- التقرير الصحفي اليومي عن سلطة النقد الفلسطينية، ٢٤ أيار/ مايو ٢٠٠٦ http//public-integrity.org
١٠- محمد أبو شرخ، الإصلاحات المالية في السلطة الوطنية الفلسطينية، مركز الإعلام والمعلومات فبراير ٢٠٠٤ .
١١- المصدر السابق.
١٢- صالح محمد النعامي، أداء مؤسسات السلطة الفلسطينية فتح ومظاهر الفساد الإداري والمالي.
١٣- صحيفة دنيا الوطن ٢٠٠٦/٩/٦.
١٤- محسن صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠١، ط٢، كوالالمبور، بترا، أيار/ مايو ٢٠٠٢، ص٨٥- ٨٦.
١٥- صحيفة النهار اللبنانية، ٢٠٠٦/٢/٦.
١٦-
١٧- http://www.arabs18.
١٨- جريدة الشرق الأوسط، لندن، ٧ نيسان/ ابريل ٢٠٠٥
١٩- صحيفة القدس العربي، ١٤ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥
٢٠- صحيفة الحياة، لندن،٢٠٠٥/٨/٢٦.
٢١- صحيفة دنيا الوطن ٢٠٠٦/٩/٢٦.
٢٢- صحيفة دنيا الوطن ٢٠٠٣/١٠/١٥.
٢٣- صحيفة دنيا الوطن ٢٠٠٨/١١/٢.
٢٤- المركز الفلسطيني للإعلام.
٢٥- المصدر السابق.

Digitized by Birzeit University Library

الملاكم الإيراني الطموح..

رشاد أبو شاور

عندما يُقرر الملاكم المبتدئ الانتقال من الهواية إلى الاحتراف، فإنه يبدأ في تلقن قواعد تضمن له الفوز، فيتدرب على تنفيذها، ويرسم خططه وفقا لمواصفات الملاكمين الذين يقفون في طريق صعوده من الهواية إلى الاحتراف، للفوز ببطولة وزنه محليًا وعالميًا.

الحلبة هي التي تقرر بجولاتها التي تتخطى جولات الهواة (٣)، والتي قد حتى تبلغ١٥ جولة، أو أقل، بحسب الاتفاق بين الطرفين عبر فريقيهما: المدرب، ووكيل الأعمال، وغيرهما، يعني الجهاز الفني بكاملة، فالملاكمة مواجهة فردية على الحلبة، ولكنها تخطيط وعمل جماعي قبل وبعد الحلبة.

الفريق بكامله يقوم بعملية جمع معلومات عن (الخصم)، يعني كل ما يتعلّق بسيرته الرياضية، منازلاته، أيها ربح بالضربة القاضية، أو بالنقاط،، وأيها خسر، ومع من كانت مواجهات الربح والخسارة، ومزاجه، ومكوناته الجسدية، قدرته على التحمّل، وطوله، وطول يديه، وهذا أمر مهم، فالملاكم طويل القامة قادر على توجيه الضربات عن بعد، ودون أن يتعرّض لقبضتي خصمه إن كان أقصر منه.

الملاكم قصير القامة، يُعد من قبل المدرب والطاقم لمواجهة خصم يتفوق عليه، و يخضع لتدريبات شاقة مع ملاكمين هواة، أو معتزلين، أطول منه قامة، ليتعلّم على كيفية الهرب من الذراعين والقبضتين الطويلتين، وأيضا كيفية الالتحام، حتى يُفقد خصمه تفوقه، بل يحوّل التفوق إلى مأزق وعبء وخسارة مُبرمة، إن لم يكن بالضربة القاضية فبالنقاط التي لا خلاف عليها من الحكّام الثلاثة خارج الحلبة، وحكم الحلبة، دون التأثر بانحياز الجمهور وحملات الدعاية، وما يكتب في الصحافة الرياضية.

الملاكم الإيراني يستعد للمباراة الخطيرة التي ستقرر مستقبله على الحلبة، فإما هو ملاكم محترف، معترف به، وإما سيتم رميه خارج الحلبة أثناء مباراته الحاسمة التي سيواجه فيها ملاكما شرسا، وحكما منحازا، وجمهورا كثير الصراخ، مُحبا للإثارة، لا يمكن أن يغيّر رأيه إلاّ إذا ووجه ملاكمه بقبضة تفقده توازنه، وتجعله يترنح فاقدا توازنه، عاجزا عن الرّد على كيل اللكمات السريعة القصيرة، وتنهي بذلك أسطورة تفوقه، وأنه ملاكم لا يقهر، قادر على هزيمة وسحق كل من يتحدّاه ويقف في وجهه.

يعرف الملاكم الإيراني أنه مستهدف مهما فعل، إلاّ إذا قبل بأن لا يكون له طموح في الصعود على الحلبة، والرضا بأن يكون ملاكما مغمورا، متواضعا، يرضى باللعب مع (ناشئين) مثله، على مستوى (الحارة) في أحسن الأحوال، وبعيدا عن الأضواء، بلا مجد يضعه في قائمة الأبطال.

بدأنا بالرياضة، وها نحن ننتقل إلى السياسة، وهل الرياضة بعيدة عن السياسة؟!

لا توجد رياضة للرياضة، ولا فن للفن، ولا حوار للحوار، ولا مفاوضات للمفاوضات، فكل شيء في النهاية هو سياسة.

الملاكم الإيراني تدرّب، وها هو يستعد، وهو لا يخفي طموحه باللعب على بطولة الشرق الأوسط، فالحلبة هنا لم تعد وقفا على البطل الأمريكي القادم من الغرب، ولا على صنيعته المجلوب محمولا، ومعدا، لإرهاب أبناء (المنطقة)، الذين ارتضى كثير منهم أن يشتغل في النادي دون طموح، فالحلبة ليست له ولأمثاله من الكسالى والهمل!

يعرف الملاكم الإيراني أن مواجهة (عدوه) لن تكون بروح رياضية، لأن ذلك (العدو) الذي لا يتميّز بالروح الرياضية لن يلعب معه بشرف، فهو سيلعب بطريقة المصارعة الأمريكية التي يبيح فيها الحكم للمصارع أن يحمل كرسيًا معدنيًا ليهوي به على رأس خصمه، بينما هو يتشاغل بالحكي مع أحد ما خارج الحلبة، وقد أدار ظهره مفسحا المجال لممارسة أفعال ليست من الرياضة في شيء، ففي المصارعة الأمريكية مباح لك الفوز وبأي طريقة، ووسيلة، فليس القانون هو المهم، ولكنه الفوز، وهو ما يبرر الوسيلة.

يعرف الملاكم الإيراني أن عدوّه -لو كانت المواجهة تجري بروح رياضية لكان (الآخر) خصما، ولكنها ستكون (مقتلة)، ولذا ينطبق وصف العدو لا الخصم تمام الانطباق على كل طرف من وجهة نظر الطرف الآخر و(فريقه)- يتميّز بقبضة طويلة، فهو مديد القامة، غليظ العضلات، عنيف، يرغب في فوز ساحق كما فعل بالعراق بلكمات سريعة رهيبة... (المنازلة لم تنته على الحلبة العراقية، والجولات ما زالت تتواصل، والنهاية آتية لا محالة).

الملاكم الإيراني الطموح، المستعد، والمحاط بفريق فني إداري يعرف ما يريد، يتحفّز للمباراة -المواجهة، وقد حدد نقاط ضعف (عدوه).

ذراع الملاكم الإيراني لا تمكّنه من بلوغ رأس عدوه، ولذا، وكما هو شأن أي ملاكم ذكي جسور، فسيكون تركيزه على الالتحام، بحيث يفقد عدوه ميّزة طول ذراعيه، ويسدد ضرباته على الأضلاع والمعدة، متحينا الفرصة لتوجيه ضربة تحت الفك بحيث يفقد العدو توازنه ويسقط على الحلبة، أو يتراجع إلى الزاوية لتضميد جراحه التي سيتواصل نزفها في الجولات الطويلة المرهقة.

بفصيح كلام السياسة نقول للذين يبررون وجود القواعد العسكرية الأمريكية على أراضي بلدانهم، بأنها قواعد (دفاعية)؛ أنتم تتناسون أن هذه القواعد أمريكية، وأنها من وجهة نظر إيران هي الأضلاع التي ستوجّه إليها نيران إيران في معركة دفاعها عن نفسها، عن حقها في امتلاك الطاقة، والتسيّد في (المنطقة) التي لا سيادة فيها (لدويلات) تدفع ثمن (وجودها)

للبلطجي الأمريكي الذي لا يريد لرأس أن يرتفع في هذه المنطقة. ألم يكن هذا ما فعله بالعراق.. العراق الذي تمّ تدميره أمريكيًا وبريطانيًا و.. بالأتباع (العرب) الذين دفعوا ثمن الصواريخ التي هدمت بغداد ومجدها، وأدخلت العراق في حقبة الموت الجماعي، والدمار، والاقتتال الطائفي، والجوع، والرعب اليومي، والتفجيرات التي تحصد أرواح العراقيين بهدف ترسيخ الرعب في نفوسهم، وإفقادهم القدرة على التمييز والتفكير بروية لتحديد أولويات حياتهم!

الملاكم الإيراني الطموح، حدد أهدافه في حال بدأت المواجهة، وهذا أمر لا يحتاج لمعلومات، وبراعة تحليل: القواعد في (دول) الخليج و..(الكيان الصهيوني)، وهذا الهدفان يقعان بالضبط في متناول قبضتي الملاكم الإيراني، فهو لا يستطيع أن يضرب قواعد في المحيط الهادئ، أو في أمريكا نفسها، أو في أوربة.

وفي معركته المصيرية هذه لديه أسلحة غير الصواريخ، فالمعركة التي يجُر فيها الطرف الأمريكي نفس العرب الذين أسهموا بحقارة وغدر في تدمير العراق، والكيان الصهيوني، وبريطانيا الحاضرة دائما، و..سيكون مع إيران أطراف مقاتلة ليست قليلة الشأن، يتقدمها حزب الله، وهذه الحرب التي ستهدد سورية ستدفع سورية للدفاع عن نفسها في حال امتدت الجولات، وستمتد لأنها ليست معركة الجولة الواحدة التي تنتهي بغارة خاطفة...

إن دولاً تلعب بالنار ولا تملك قرارا مستقلاً، وتسخّر أرضها لتكون قواعد تهديد وعدوان، ستواجه انفجارات داخلية ليست بالضرورة طائفية، ففي هذه المعركة سيشارك كل من يكره سياسة وانحياز أمريكا...

ألن تتفجّر الأمور في الضفة والقطاع؟ نعم، المنطقة ستشتعل بنار هائلة لن تنطفئ إلاّ بعد أن تحدد نتائجها لمن ستكون السيادة، في هذه (المنطقة)، التي لن تكون فيها سيادة لمن ارتضوا لأنفسهم دور (الكومبارس)...

إيران ستخوض حربها انطلاقا من مصلحة الأمة الإيرانية (الفارسية)، و(العرب) ليسوا سوى دول تابعة، وهذه الدول في حال انفجرت الحرب ستدفع ثمن القواعد التي تدّعي أنها (دفاعية)!.

في هذه الحرب، إن انفجرت، سيصمد من استعد للمواجهة، وسيحترق من ارتضوا لأنفسهم دور (الكومبارس).

نقلاً عن موقع عرب الـ٤٨ الالكتروني

لمواجهة ثقافة المقاومة إعلان الحرب على الأقمار الصناعية العربية

بقلم: عادل الجوجري×

الحملة الصهيو-أميركية ضد الوطن العربي انتقلت من الحرب العسكرية المباشرة التي تشنها في العراق وفلسطين ولبنان وسوريا فضلا عن تهديد ايران الى ساحة جديدة تماما هي ساحة الإعلام، وهي باختصار تريد ان تسكت اي صوت عربي داعم للمقاومة حتى وان كانت المقاومة الثقافية، لذلك تطالب العرب حاليا بوقف هجوم وسائل الإعلام العربية على جرائم أميركا وانحيازها المطلق والأعمى للمحتلين للكيان الصهيوني.

لقد صار مطلوبا منع اي حديث عن المقاومة في المحطات الفضائية العربية، وتحريم- وكذلك تجريم- أية إشارة إلى الاحتلال الأميركي في أي بقعة من هذه المنطقة! وثمة تهديدات أميركية تواكب هذا الطلب، وهو تدخل فظ وفج في الشؤون الداخلية للدول العربية.

الموقف الأميركي جاء على أعلى مستوى، إذ أقر مجلس النواب الأميركي في الثامن من شهر ديسمبر الماضي مشروع قرار يعاقب مشغلي الأقمار في حالة تعاقدهم مع قنوات فضائية تعتبرها الولايات المتحدة مناهضة لأميركا و"إسرائيل" وتحرض على العنف ضد الأميركيين، على نحو متكرر. ويخص القرار، الذي تقدم به النائب الجمهوري "جيس بيليراكيس"، قنوات مثل "المنار" و"الأقصى" و"الرافدين" و"الزوراء" و"العالم".

مجلس النواب وقرارته الغريبة

ويطالب مشروع القانون من الولايات المتحدة اعتبار مالكي الأقمار الصناعية التي تربط بتلك القنوات وتسمح بأن تبث محتواها من أقمارها داعمين للإرهاب، ولذا يطالب الإدارة الأميركية باتخاذ عقوبات وإجراءات ضد مالكي تلك القنوات باعتبار أن من يملكها أو يديرها إرهابيون. ويحث مشروع القانون أن تربط الولايات المتحدة علاقاتها والمساعدات المالية للدول الشرق أوسطية بمراقبة تلك الدول وسائل إعلامها كما حث المشروع على اتخاذ إجراءات عقابية من بينها فرض عقوبات اقتصادية.

ويتضمن هذا القانون . حسبما أشار نص مشروع القانون . "١" قائمة للدول . كل دولة على حدة . ووسائل الإعلام المنخرطة في العداء إلى الولايات المتحدة والتحريض على العنف و"٢" قائمة بالأقمار الصناعية التي يبث من خلالها ما أشار إليه في البند الأول أو إخضاعها إلى الأمر التنفيذي رقم ١٣٢٢٤ وهو ذلك الأمر الذي وقعه الرئيس الأسبق جورج دبليو بوش في غمار أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ الذي يطبق على كل فرد أو مجموعة لها علاقات مع ما تصفه واشنطن بالإرهاب.

ويشمل مشروع القانون تسع عشرة دولة أشار إليها بمنطقة الشرق الأوسط وهي: مصر، المملكة العربية السعودية، الجزائر، البحرين، العراق، الضفة الغربية وقطاع غزة، الأردن، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، سلطة عمان، قطر، سورية، تونس، الإمارات العربية المتحدة، اليمن، بالإضافة إلى إسرائيل وإيران. ويلاحظ أن مشروع القانون لم يشمل كل الدول الشرق أوسطية حيث لم يشر إلى السودان، ربما لأن المشرعين في واشنطن يأملون أن يكون هناك سودانان واحد شمالي وآخر جنوبي خلال سنة ٢٠١١ ولا يريدون تعقيدات قانونية.

ويرى القرار الأمريكي أن قناة "الأقصى" مثلا ليس مجرد اطار اعلامي وانما منظمة إرهابية تحرض على العنف، وبالتالي من الضروري منعها من الاستمرار في بث برامجها على اقمار تملكها دول ديمقراطية على حد وصف مسؤول في مجلس النواب تحدث الى "الواشنطن بوست".

ويتضمن قرار مجلس النواب الأمريكي فقرة هامة لها دلالتها.. هي تحريض الرئيس الأمريكي على اتخاذ اجراءات أو عقوبات خصماً من المعونة الأميركية على الدول التي

Digitized by Birzeit University Library

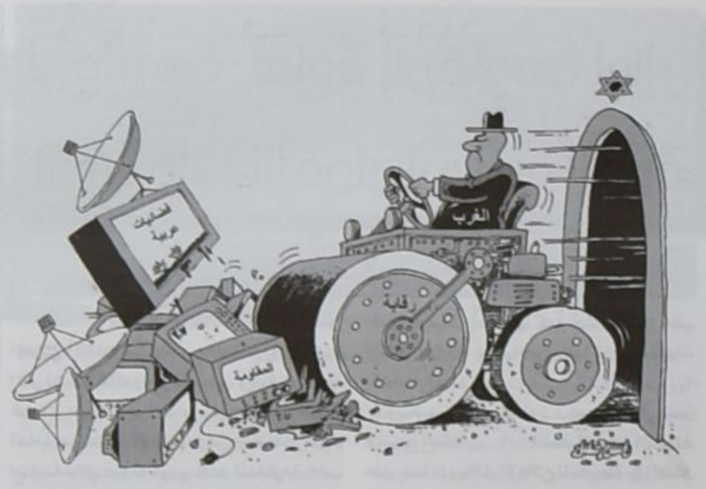

تسمح ببث هذه القنوات، في إشارة خاصة إلى مصر باعتبارها مالكة "النايل سات" وجامعة الدول العربية مالكة "العرب سات"، وان كانت الأخيرة لا تحصل على معونات أميركية إلا أن القاهرة تبلغت عبر السفيرة الاميركية بضرورة التنبيه على القنوات التي تضمنها القرار من انها أما أن تغير من خطابها الاعلامي وإلا ستجد اجراءات عقابية أشد.

والطريف –إذا كان هناك مجال للطرافة– هو أن وزارة الخزانة الأميركية كانت قد حظرت جميع المعاملات المالية بين أي مواطن أميركي وبين قناة "الزوراء" أو مالكها "مشعان الجبوري" المعارض العراقي بعد أن اتهمت تلك القناة بأنها "تهدد سلام واستقرار العراق والحكومة العراقية". كما اعتبرت الولايات المتحدة أن قناة "الرافدين" العراقية تابعة لهيئة علماء المسلمين في العراق، وهي من وجهة النظر الأميركية منظمة معادية للولايات المتحدة في العراق. ولما كانت الولايات المتحدة تتهم القنوات الفضائية الإيرانية، ومنها قناة "العالم" الناطقة باللغة العربية، بأنها تحرض على العنف ضد الولايات المتحدة فقد وضعها مجلس النواب الأميركي في قائمته السوداء إلى جانب قناة "الأقصى" التابعة لحركة حماس في غزة التي يعتبرها النواب الأمريكيون منظمة "إرهابية"، وشملت القائمة ٨ محطات فضائية تبث باللغة العربية متهمة بالتحريض على مقاومة الوجود الاميركي في المنطقة... وتصل الوقاحة بالنواب الأميركيين إلى حد إلزام الرئيس الأميركي بتقديم تقرير سنوي شامل حول "التحريض ضد أميركا" في الشرق الأوسط، ووضع قائمة لدول المنطقة ووسائل إعلامها التي "تحرض على العنف" ضد الولايات المتحدة.

مفارقات أميركية

واللافت هنا أن الإدارة الأميركية التي تسببت في قتل مليون عراقي وتشريد ه مليون واحتلال دولة بدون شرعية هي التي تتحدث عن محطات فضائية تروج للمقاومة التي تعتبرها إرهابا، وكان أعضاء مجلس النواب الاميركي سوف يستسلمون اذا قامت قوة أكبر منهم بغزو الولايات المتحدة، وينسى هؤلاء أن ميثاق الأمم المتحدة ذاته يحث الشعوب على مقاومة الغزو والاحتلال بل إن الأديان السماوية تحث وتحرض على الجهاد، ومشتقاته.

إن رد الفعل العربي جاء خجولا، وجاء رسميا حيث اعتبر وزراء الإعلام العرب أن مشروع قرار مجلس النواب الأميركي الذي يدعو إلى فرض عقوبات على مشغلي الأقمار الصناعية التي تبث قنوات تلفزيونية، تم تصنيفها على أنها "إرهابية"، هو تدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية.. ذلك أن الدول العربية تعالج قضاياها الإعلامية وفق تشريعاتها الوطنية، لكن حسب معلوماتنا ومن مصادر في وزارة الاعلام المصرية فقد جرى التنبيه إلى القنوات الفضائية التي تبث من مدينة الإنتاج الإعلامي بعدم إثارة هذا الموضوع ، وان أثير يتم تداوله في نطاق واسع من قبيل التشريعات الإعلامية الدولية وحرية تدفق المعلومات. وكانت ادارة شركة "نايل سات" اوقفت من قبل بث قناة "الزوراء" لأسباب فنية بسبب تأثير التشويش الأميركي الموجه ضد هذه القناة..

كما أوقفت بث قناة العالم، وتتوقع قناة "الرأي" أن تلحق بمصير "الزوراء"، والسبب هو أنه على الرغم من "الثوب الجديد" للقناة ومحاولتها الابتعاد عن مظهر "الزوراء" القديمة والاستعانة بمذيعة ذات مظهر أوروبي وإبدال وتغيير هيئة مذيع عمليات المقاومة السابق وتقديمه في بدله أنيقة ليحل محل الثوب العراقي الشهير بالعقال، وإدخال أشكال منوعة في برامج القناة، فإن القناة استمرت في بث أشرطة فيديو لعمليات المقاومة للمحتلين الأميركيين في برنامج "حصاد المقاومة".

فشل اسكات المنار

وليس سراً أن واشنطن حاولت غير مرة إسكات قناة المنار لسان حزب الله اللبناني، ووصف مسؤول في مجلس النواب الأميركي "حزب الله اللبناني" بانه "منظمة إرهابية"، وأن هذه القناة التي انطلقت كقناة فضائية في عام ٢٠٠٠، هي قناة مقاومة" يستخدمها الحزب "لدعم أهدافه في مواجهة الولايات المتحدة والكيان الصهيوني بوسائل العنف" لكن يعود فشل واشنطن في وقف قناة المنار إلى أنها تبث على أربعة أقمار في وقت واحدهي "نايل سات" و"عرب سات" وذلك بالإضافة إلى القمر الأندونيسي "بالاب سي- ٢" مما صعب من مهمة محاصرتها والتحريض ضدها.

ويشير كاتب في مجلة دير شبيجل الألمانية إلى أن مشروع القانون الذي تمت المصادقة عليه ليس سوى البداية، حيث وضعت عدة مكاتب أبحاث ودراسات توصف بالمستقلة في الولايات المتحدة ومنها "معهد ميمري" ومؤسسة "كارنيغي" لأبحاث السلام الدولي ومؤسسة "راند" الأميركية للدراسات الإستراتيجية التي وضعت قبل سنوات ما سمته بمعايير الإسلام المعتدل، توصيات بتوسيع مجال تطبيق القانون السابق الذكر ليشمل الصحف والإذاعات والكتب وكل وسائل الإعلام. وهكذا يتم تدريجيا إسكات كل الأصوات التي تدافع عن حرية واستقلال الأمم والشعوب والتي تؤيد حقها في الكفاح ضد المستعمر والاضطهاد بدعوى أنها إرهابية.

والشاهد أنه طالما أن الوطن العربي يستورد التكنولوجيا من الغرب سيظل أسير ارادة القوى الكبرى التي تتحكم في هذه المعطيات، والبديل هو تكامل عربي إسلامي من اجل بناء صناعات تكنولوجية ذاتية بعيدا عن هيمنة القوى المعادية للحق العربي، فضلاً عن ضرورة استمرار منهج المقاومة على المستويات كافة وهذه مسؤولية المثقفين العرب في المقام الاول.

× رئيس تحرير "الأنوار" القاهرية

الفنان المصري حسن حسني لـ«فتح»

أتمنى تمثيل شخصية أبو جهاد والشيخ ياسين

الكوفية الفلسطينية على أكتاف الشباب من الجنسين دليل على المقاومة

حوار: نهاد عبد الوهاب

جوكر السينما المصرية حسن حسني يحمل على كتفه تاريخاً طويلاً من الفن النبيل، هو فنان كوميدي بامتياز لاسيما كوميديا الموقف، من مدرسة فؤاد المهندس، وهو حاضر في معظم الاعمال الفنية سواء في السينما او المسرح او التليفزيون غير انه بعد هذه الرحلة الطويلة التي شملت نحو ٣٠٠عمل فني من كل صنف ولون لا زال يحلم بأداء دور الفدائي الفلسطيني «أبو جهاد» الذي اغتالته العصابات الصهيونية الغدرة، وهو يرى اهمية اعادة الاعتبار للسينما الجادة وفي قلبها قضية فلسطين، فضلاً عن العراق وسوريا ولبنان ويفتخر بأنه من ضمن الفنانين الذين حذروا في اعمالهم من خطورة ترك العدو الصهيوني الأميركي يمتلك أسلحة الدمار الشامل بينما الحكومات العربية خائفة مرتعشة لا تقوى على المواجهة.

سألناه عن رسالة الفن ودوره في دعم القضية الفلسطينية فقال:

الفن دوره اكبر من العمل السياسي، الفن حياة كاملة فيها النضال وفيها لحظات الضعف الانسانية، ومن هنا تكمن أهمية الفن الذي يخاطب مشاعر البشر قبل ان يخاطب عقولهم، الفن لازم يصل للقلوب اولا، وبعدها تفكر فيه بعقلك، ومن هذا التنوع نرى اهمية ان تكون هناك كثافة وجودة في الاعمال التي تتناول قضايا الوطن، ومن أولها وعلى قمتها قضية فلسطين، فالمسألة لا تتوقف على فيلم هنا أو هناك بل رؤية فكرية وثقافية شاملة لإعادة الوعي القومي والنضالي مرة اخرى الى الساحتين الثقافية والفنية في الوطن العربي.

×وما الذي يمنعكم بصفتكم فنانين من تقديم هذه الرؤية؟

- لقد حصل تحول كبير في المسؤولين عن الانتاج الفني من جهة وحصل من ثم تحول في القضايا التي يهتم بها المنتجون، إنني احلم مثلا بعمل فني درامي كبير عن شهداء فلسطين احلم مثلا بفيلم عن الشيخ احمد ياسين وأبو جهاد وياسر عرفات وباقي قيادات الفصائل الفلسطينية ومنهم جورج حبش ووديع حداد والآخرين الذين حظوا باهتمام واحترام الشارع العربي، لكنني لا أجد ممولا ينتج هذه الاعمال التي تحتاج إلى تكلفة كبيرة من جهة وليس مضمونا ان تحقق الربح للمنتج وهنا يحدث الانفصام بين الرغبة والإمكانية، ونضطر نشتغل في الاعمال التي تراها حاليا لأننا لا نملك رأس المال الكافي لإنتاج أعمال وطنية او قومية بعكس عصر عبد الناصر حيث أنتجت السينما عشرات الاعمال التاريخية القومية الكبيرة التي أثرت في صياغة وجدان المشاهدين العرب،بل أكاد أقول ان الفن هو الذي وحد الوجدان العربي حتى وان حصل اختلاف في النظريات والمساهمات العقلية البحتة.

×معنى ذلك انك محكوم بقانون العرض والطلب؟

- العملية الفنية محكومة بقانون العرض والطلب منذ رفعت الدولة يدها عن الاقتصاد وخصخصت المؤسسات الفنية، لذلك حصل تغير في بنية المسرح الذي قدم من قبل أعمال الكتاب الكبار نعمان عاشور ولطفي الخولي وسعد اردش وميخائل رومان، وصار المسرح يقدم أعمالا هزلية حتى تجذب الجمهور الجديد، فالجمهور نفسه تغير هذه التحولات نقترح إنشاء مؤسسة فنية عربية لا تهتم بالربح يكون هدفها تقديم الاعمال التي تغرس الوعي القومي في نفوس الشباب، وتعيد الألق للأفكار المناضلة لاسيما المقاومة للعدو بكل أشكالها.

×ومن الذي يؤسس هذه الفكرة؟

- اعتقد ان الجامعة العربية يمكن ان تحقق ذلك وقد ناقشت السيد عمرو موسى في شأنها وقال لي ان الجامعة لديها مشروع ثقافي متكامل وسوف تدعو الى قمة عربية ثقافية لوقف زحف هذا النمط من الجهل الوافد على المنطقة العربية والذي يهدف الى تصحير العقل العربي وتحويله الى نافذة تعبر من خلالها الأفكار الرديئة الى الشباب، ومن حسن الحظ ان شبابنا ما زال فيه الخير، وأنا المس ذلك من الفنانين الشباب الذين يرغبون في تمثيل أفلام ومسلسلات عن فلسطين لو أتيحت لهم الفرصة، وأنا أحب دائما ان أكون مع الجيل الجديد وقد لفت انتباهي أيام الحرب الصهيونية على غزة كيف قام شباب الجامعات بعمل تظاهرات مناوئة للموقف الرسمي المتخاذل والذي لم يعبر عن الشارع العربي، وفجأة صارت الكوفية الفلسطينية على أكتاف الشباب من الجنسين في مشهد دال ورافض للتخاذل، وداعم ومؤيد لنهج المقاومة.

×وما رأيك في إنشاء مصر جدار عازل مع فلسطين؟

-أنا ضد الجدار ومع كل ما من شأنه دعم المقاومة الفلسطينية، والكفاح المسلح إيمانا بأن العصابات الصهيونية لا تعترف إلا بلغة القوة ونحن لها .

×هل شاركت في تظاهرات ضد الجدار؟

-أنا لا أشارك في التظاهرات لأنني مريض ولا استطيع الوقوف لمدد طويلة مثل أيام الشباب لكن قلبي يتظاهر يوميا، وعندي أمل ان أرى فلسطين محررة قبل ان أودع هذه الدنيا، عندي رغبة للصلاة في ارض فلسطين بعد تحريرها.

×وكيف تنظر الى من يروجون الى تطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني؟

-أنا تربيت على الثقافة القومية الناصرية وأعرف أن صراعنا مع العدو مستمر الى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وهو زوال هذا الورم السرطاني الصهيوني، لكن الآمال الكبيرة تتحقق عبر النضال والكفاح وليس فقط الأمنيات الطيبة.

Digitized by Birzeit University Library

الفنان التشكيلي مصطفى الحلاج (١٩٣٨-٢٠٠٢):
لن أعمل لوحة ... وإنما سأصمم نصباً تذكارياً

معتز علي

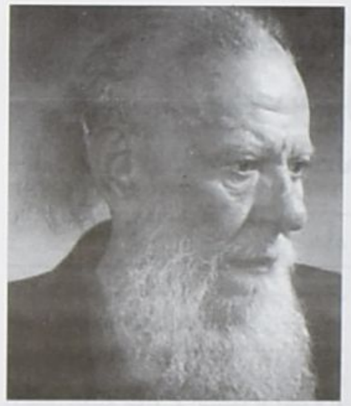

يكتسب الحديث عن الفنان الشهيد مصطفى الحلاج أهميته من الخطوات الأولى التي شهدتها بلدة (سلمه) القريبة من يافا لهذا الطفل الذي ظل يستحضر طفولته الكنعانية حتى آخر رمق من حياته، وقد كانت سلمه بكل عبقها وحنينها مدارج ريشته منذ أن اختاره القدر ليكون مؤرخاً لحياة وعذابات الإنسان، فكانت ارتجالات لحياة لوحته الأخيرة التي دافع عنها حتى الاستشهاد.

وها نحن نستذكره اليوم علنا نفي هذا الفنان تقديرا وحبا وإخلاصا والذي بقي هو مخلصاً لفلسطين وسلمه والريشة وطليت وظل يتنكّب الهم والأرق الذي ارتسم في غالب لوحاته وفي تفاصيل حياته. الفنان رحالة كي يستريح، فمن ذا الذي يكمل مسيرة التاريخ تلك. تلك التي بدأت مع مصطفى الحلاج ولن تنتهي إلا حين يتحد الشعب الفلسطيني مع أرضه ويعود إلى كيانه الأول الذي يمتد على مئات الكيلو مترات من أنهر الدم وعلى الاف الشهداء الذين صاروا رموزاً في تشكيلات الحلاج.

عندما بدأت الدارسة في كلية الفنون الجميلة في القاهرة كنت أرغب أن أسيطر على أدواتي في نطاق تجسيد الطبيعة بمعنى إني أخضع يدي إلى عيني، ما أرى أسجل، واجتاحتني أفكار مشوشة حسمت الأمر فيها، وذلك بالنسبة لتيارات المعاصرة، كنت أمسها ولكن لا أفهم مغزاها بعد، فقررت أن أسير في طريقي حتى شعرت أن التسجيل ليس هو ما أريد فبدأت أساعد يدي على الخضوع لخيالي.

كنت أرسم أكثر من عشر ساعات في اليوم، ثم تأتي المرحلة الأخيرة، وهي أن تخضع يدي لكلي وكل مكوناتي الاجتماعية وان أصبح مالكاً لأدواتي والآن أحاول أن أكون امتداداً لكل شيء..

هذه الكلمات للفنان الراحل مصطفى الحلاج وهو يتحدث عن المراحل الفنية في الفن التشكيلي، أما عن أقرب الأشياء إليه فيقول: ثلاث كلمات هي فلسطين- الفن- الحلاج(المتصوف)، ورداً على سؤال عن اللوحة التي سيرسمها عند تحرير فلسطين فيجيب: لن أعمل لوحة وإنما سأصمم نصباً تذكارياً أسجل فيه حياتي وحياة كل من تعرفت بهم بشكل عيني، أو عن طريق الرواية في عمل نحتي ضخم سأصممه أما التنفيذ فلا أدري.

لقد نظر الحلاج إلى الانتفاضة من زاوية جديدة.. وعبر عنها بمشاعر بدائية بريئة مثلت له تضاريس المكان لطفولته.. لكنها مرتبطة في سياق تطور طبيعي لمعاناة شعب يريد الحياة، ويرفض أن يقسم وقته ، للقهر ساعة.. وللذل ساعة أخرى، يرفض أن يُسرق جهده عندما يعمل أجيراً عند محتل، لقد ارتبطت ذاكرته فوق مسرحين لمكانين مختلفين.. طفولة فلسطين، ويفاعة حياته في مصر العربية (القاهرة) لكن موهبته العبقرية وذاكرته القوية، أبت أن تنسى رائحة المهد الأول لجسده وروحه، لنمو بصيرته وتجربته البصرية.

عند الدخول لصالة «ناجي العلي» لفنون التشكيلية تجد أعمال الحلاج تتوزع جل مكان من الصالة.. الألوان فرحة موزعة بغالبة مقصودة، إلى البسيط في الطرح وتناول الموضوع.. تجد إن الأعمال ذات الطابع الريفي أخذت ألواناً وشمت بميزتها الشرقية وايقاع الطبيعة..فوجود الإنسان والحيوان والأشياء في هذا التناسق،يخلق في العمل فضاءً يتهافت بلطافة في عين المشاهد.. أصالة الفنان تبدأ حينما تشعر أن أعماله تزرع فيك الرغبة في متابعتها.. حيث تعرف أنها تخص ما بداخلك، وهمها مداعبة الذاكرة والأحاسيس الضائعة في أشياء عزيزة تحنّ إليها كثيراً.. وهذا الإنسان الحلاجي يغرس فيك هذا الانطباع من النظرة الأولى لإبداعه.

ويقول الفنان د. غازي الخالدي عن مصطفى الحلاج في يوم رحيله: «مصطفى الحلاج تجربة متفردة في الفن التشكيلي العربي المعاصر وأن الذي قدمه الحلاج عبر مسيرة(٥٠) عاماً يعتبر ثروة وطنية كبيرة.. وحتى لا يضيع هذا التراث الذي تركه لأجيالنا أتمنى على الجهات المعنية بفنه أن تجمع هذا التراث وتطبعه وتنشره وتعممه ليبقى عملاً خالداً يؤرخ لنضال العربي الفلسطيني وللفن التشكيلي الفلسطيني من جهة أخرى.

أما الفنان الفلسطيني محمد الوهيبي فيقول: «الحلاج شاطئ إنسان رجل وآخر يحكي آثار روحه الموشومة بالحبر على أوراق حكمته، كان كحلم العودة الذي نعود إليه لكي نبقى على سر صلحنا».

رحليه من دار إلى دار، ومن حلم إلى آخر يجعل الحلاج فناناً عاشقاً تماما كخيط أبيض نسج في عباءة حزن سوداء تعبر مع الأس دروب المدينة ليرسو قارب حزين بين العيون.. ذاكرة من سر ورق الحبق الذي ذبل بذبول أحزانها رأته أرجعت جبال الجليل صدانا الناصب حيث رأينا العودة إليها بسر أعمالنا الجلية.. لهوا لحب الكبير تحت الشمس لذا لن يفقد الحلاج ظله.

أخيراً الآن وقد مضى الحلاج، لا نملك إلا أن نقول: خسرناك وافتقدناك. أيها الفنان العظيم.. سنشتاق لك وستشتاق لك حارات وأزقة دمشق وسيفتقدك مثقفوها وفنانوها الذين أحبوك وتقاسموا معك سهر الليالي والحنين إلى الوطن القريب البعيد.

تحيةً لك.. لروحك الطاهرة المتسامية باتجاه الوطن..إلى اللقاء في سلمه التي ترفرف حولها روحك.. إلى اللقاء في فلسطين.. كل فلسطين.

المرأة الفلسطينية في يوم المرأة العالمي

Digitized by Birzeit University Library

حتى نلتقي

القائد القسامي

محمود عبد الرؤوف المبحوح.. شهيدا..

برهان الدم.. وبداية الزمن الفلسطيني

ليس جديدا، أن يوغلوا في دمنا، فلا حدود لإرهاب طليق يمتد للبشر والحجر، يسفر عن الجريمة، المتوالية فصولا في الزمان والمكان، صور منفلتة من الجريمة الأصلية، اغتصاب فلسطيننا، والسعي لتهويد أرضنا وسرقة تراثها وحضارتها الموغلة في القدم. بل إن ما تفصح عنه جريمتهم المتواترة، في سياقاتها الجديدة-القديمة، ليس بوقائعها فحسب بل بكشفها لذلك التواطؤ الأوروبي-الغربي، للنيل من قضية شريفة وعادلة، قضية أمة بامتياز، ما زالت ترفع برهان الدم في دورات صراعها المفتوح مع الغزوة الصهيونية الإحلالية، الإجلائية، وبذلك الرهان الساطع يلتحق الشهيد القائد القسامي محمود المبحوح بقوافل مديدة من شهدائنا الكبار، قادة ومناضلين منذ أن اندلعت الثورة الفلسطينية المعاصرة، وما سبقها، لتتقدم صفوف شهدائها أجيال من الشهداء على الطريق ذاتها التي دشنها عز الدين القسام وعبد القادر الحسيني، ليسجلوا مآثرهم الباقية، من وقفوا خط دفاع ذكيا عن فلسطين، ولنا أن نرث أسماءهم، وإرثهم الخالد، منذ أحمد موسى، أبي جهاد، وأبو علي إياد، وفتحي الشقاقي، وأحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي وإبراهيم المقادمة، جهاد جبريل، أبو علي مصطفى، ومن استمروا يحملون إرث الشهداء، ذلك قدر شعبنا وقدر أمتنا منذ أن سال دم الحرية الأول على أرضنا، ليخصب عروقها وليصبح نسغ مقاومة، وجدت لتبقى وتستمر، ليولد الغد: حرية وطن عصي على التغييب، يذهب شهداؤنا إلى المستقبل وحسبهم أنهم جاؤوا منه، مكللين بصورهم المشتهاة.

يذهب المبحوح شهيدا، وعلى متسع عينيه يورق فجر الحرية العنيد، والأرض لما تزل تجترح معجزة بقائها، وتتماهى بمعجزة صمود أهلها، ويقظة أرواحهم أمام ما يستهدف مقدساتهم ومستقبلهم، يذهب المبحوح شهيدا، لتبقى الحقيقة الفلسطينية، حية في التاريخ والضمير وفي الذاكرة الجمعية، قدر شعبنا، أن يسخى بالشهداء لتحيا فلسطين بوحدة شعبها وأرضها، تلك هي المسيرة الفلسطينية المتعالية على المحو والنسيان، لمن جاؤوا حقا من الأرجوان، لينتصروا للتاريخ، تاريخ كل حجر اتكأ على قلبها -الأرض- وعادوا للمستقبل -فلسطين، المقاومة، ليكتبوا عن حبواتهم المترعة بمديح الأرض، عن قوة المثال لشعب يولد من جديد، لتأخذ البطولة مدالحها الضرورية، الشديدة البهاء، في مقام الانتصار، انتصار الدم على السيف... قدر أمة ما زال شهداؤها في قلب فلسطين، وفي صلب هاجسهم الأعلى بوجودهم في التاريخ، وتلك هي سير أبطالنا، في صيرورتهم لأن يكونوا فضة التراب، وانبثاق الماء من حجارتها، فمن يجرؤ على أن يطفئ حجر الشمس، وأن يئد فطنتنا للمعنى في حضور شهودنا، على مقعد الشمس، ففلسطين لن تغير اسمها، المنسوج بما استبقى من حيوات فاضت على الوجود، لا زالت معجزتها أنها فلسطينية، كاسم حركي لن افتدى، كبذرة الضوء التي تسبق آلاف النهارات القادمة..

أحمد علي هلال

Digitized by Birzeit University Library